الفصل الرابع:

ثقافة المقاومة بين السلام والاستسلام

- تقديم:

1 - مشروع الهيمنة الأمريكية الصهيونية.

2 - تاريخ عملية السلام.

3 - مفهوم السلام والاستسلام بين ثقافة المقاومة والعولمة.

4 - سقوط الأسطورة واحتضار الخرافة.

5 - المقاومة استنهاض وانتصار.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع:

ثقافة المقاومة بين السلام والاستسلام

ـ تقديم:

ليس للثقافة تعريف واحد عند الدارسين قديماً وحديثاً، ولكن أي تعريف لها كان يشتمل على دلالة الحذق والمهارة والفهم. ولعل أشهر تعريف سار بين الناس تعريف (تايلور) ومفاده أن الثقافة مجموع المعارف والعلوم والآداب والفنون والخبرات والتكيفات والمهارات والعادات والأخلاق والقوانين التي يكتسبها المرء..[1]

وباختصار نرى أنها كل مدخلات الذهن البشري وتحويلها إلى سلوك وتصرفات، وأفكار وإبداعات بوصفها أنساقاً تغذي الذاكرة البشرية.

وللثقافة أنواع وتجليات باعتبارها أنساقاً من القيمة والتقنيات عند الشعوب[2]، فمن أنواعها الثقافة الوطنية والقومية والإنسانية؛ والفنية والأدبية والعلمية، والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والثقافة التراثية والحديثة، والرجعية والتقدمية، و... وثقافة الاحتراف والمهنة و...

وفي هذا المقام لابد أن نستوعب مشاريع الهيمنة الأمريكية الصهيونية وندرك وظائفها العداونية، لتشكيل مفهوم الوعي التاريخي الفردي والجماعي لإدراك الحقيقة الكاملة.

1 ـ مشروع الهيمنة الأمريكية والصهيونية[3]:

---

(1) انظر المعجم الأدبي ـ جبور عبد النور ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ 1984 ـ ط 2 ـ ص 81.

(2) انظر قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور ـ إيكه هولتكرانس ـ ترجمة د. محمد الجوهري ود. حسن الشامي ـ دار المعارف ـ ط 2 ـ ص 149 ـ 153).

(3) انظر ما يأتي 188 ـ 191.

obeikandl.com

يركز الحديث ـ هنا ـ على سياسة الإدارة الأمريكية الساعية إلى فرض كل ما يحقق مصالحها، سواء تمثل بتدجين النظام العربي الرسمي، أم بخفوت الصوت الشعبي، حتى بات انتشار القوات الأمريكية أمراً واقعاً في الأرض العربية، وبات التدخل في الشؤون الداخلية للحكومات والدول أمراً لا يماري فيه أحد كما يتضح للناس جميعاً من تنصيب حكومة هنا أو هناك أو التحكم بأحوال البلاد والعباد؛ والتدخل في شؤون عدد من الحكومات العربية حتى أضحت حكومات معلبة فاقدة لكل الشروط الموضوعية. وهي ـ اليوم ـ تقف مساندة بعض اللبنانيين الذين اختاروا الوقوف إلى جانب الدوائر الغربية والأمريكية، تحت مزاعم السيادة الوطنية ما أدَّى بهم إلى التنكر لسورية ودورها القومي النبيل في لبنان. ولعل ذلك دفع بعض الشخصيات اللبنانية إلى مدّ جسور اللقاء مع الكيان الصهيوني، أو بعض رجالاته. ولا شيء أدل على هذا من بعض مواقف النائب اللبناني وليد جنبلاط حين التقى النائبة الصهيونية كوليت أفيتال في فرنسا يوم الاثنين (2006/8/28م) على هامش اجتماع للحزب الاشتراكي الفرنسي. وقد صرحت هذه النائبة ـ آنذاك ـ بأن السيد وليد جنبلاط أظهر عداءً عظيماً لسورية ونظامها ولحزب الله وقائده، وكشف عن نفاق وكذب وتدجيل لا نظير له عند السياسيين، وفق ما نشرته جريدة (الشرق الأوسط) في (2006/8/29) وصحف أخرى (كالنور) و(الوحدوي 2006/9/1م) إثر ذلك التاريخ.

ومازال أمثال جنبلاط من اللبنانيين والعرب يقامرون على القوة الأمريكية الفائضة في مختلف المجالات وهيمنتها على المنظمات الدولية بما فيها مجلس الأمن الذي صار أداة بيدها، بمثل ما يقامرون على القوة الصهيونية لنزع سلاح حزب الله وإضعافه ما يعني إضعاف المقاومة الوطنية والعربية، وكأنهم لم يدركوا ما قالته صحيفة هآرتس بأن "إسرائيل كلب صيد أمريكي فقد جدواه" وتأكد ذلك باعتراف وزيرة خارجية الصهاينة (تسيفي ليفني) بأن أي قوة في الأرض لا تستطيع نزع سلاح حزب الله.

ويبدو لي أن انكشاف المشهد الأمريكي ـ الصهيوني سياسياً وعسكرياً وأخلاقياً ـ على الرغم من ارتكابه للمجازر المتعددة وانتهاكه لسيادة الدول

والأمم ـ لم يقنع العديد من السياسيين العرب بأن الصورة قد انقلبت لصالح المقاومة الشعبية الوطنية والقومية والإنسانية. أي إنهم ما زالوا ينظرون إلى الواقع العربي والدولي نظرة أحادية ويعتقدون بأن هناك دولة قوية واحدة في العالم تتحكم بإرادته، وقوة واحدة أخرى في المنطقة تملك السلاح النووي والأسلحة الفتاكة العمياء التي زودتها بها الدوائر الغربية/ الصهيونية وبخاصة الإدارة الأمريكية التي تملك أعتى قوة على وجه الأرض، ما يعني ـ في زعمهم ـ أن المقاومة مغامرة؛ والعين لا تقاوم المخرز. ولهذا يرون أن نفتش عن حلول بمعزل عن استخدام السلاح الذي لم يجرّ علينا وعلى بلادنا إلا الويلات والدمار. ثم يعرضون لما جرى في لبنان نفسه إبان العدوان الوحشي عليه في (2006/7/12م). وكل من ينتمي إلى تيار (14/ آذار) يصرح به يومياً في الإذاعة والصحافة والقنوات الفضائية، كما جرى في مقابلة أجرتها القناة اللبنانية (ل. ب. س L B C) مع النائب أكرم شهيب، بتاريخ الثلاثاء (2007/4/10م).

ونرى أن صمود المقاومة الوطنية اللبنانية[1] بقيادة حزب الله وتشبث الشعب بأرضه في الجنوب وصمود المقاومة العراقية على يد الشرفاء وتمسكهم بأرضهم وصمود الشعب الفلسطيني وإيصاله منظمة (حماس) إلى السلطة عن طريق انتخابات ديمقراطية قد أحيا روحاً جديدة في المنطقة لمواجهة المشروع الأمريكي الصهيوني؛ هذا المشروع الذي أخذ يخطط لتوجهات جديدة في المنطقة من أجل استمرار وجوده والقضاء على كل مقاومة له. ومن أبرزها أنه بات يزرع الموت والدمار في أي أرض يطؤها مستعملاً الأسلحة الفتاكة والمحرمة دولياً، وفي الوقت نفسه يزرع الفتنة الطائفية والمذهبية والعرقية، ويجعل الأخ عدواً لأخيه لا يتورع عن قتله، فالمشروع الأمريكي يزرع كل ما من شأنه التفرقة والاقتتال بين أبناء المنطقة. لكن الشعب العربي قد خيّب ظن المحتل الأمريكي والصهيوني وهزم مخططاته حين تشبث بأرضه ولم

---

[1] سوف نفصّل الكلام على ذلك فيما يأتي 218 – 228.

يغادرها، بل قبض عليها بالدم والإصرار على الانزراع في ذراتها، ما جعل ذلك المشروع الأمريكي الصهيوني يتراجع؛ ولابد له أن يسقط أمام إرادة أبناء الأمة وذلك كله يعني أن حرية العربي والمحافظة على وجوده وهويته وانتمائه لا ينفصل عن ثقافته وموروثاته التي تؤكد وجوده الفاعل الحر والكريم لمقاومة أي ثقافة قاهرة مهما تزيَّت بالأقنعة المخادعة.

وعلى الرغم من ذلك نقول: هناك فجر جديد على الصعيدين العربي والدولي في المنطقة بإحياء ثقافة المقاومة وفكرها؛ وهي الثقافة التي جعلت القوة الأمريكية تخفق في تطبيق مشروع الشرق الأوسط الجديد، وفي إعادة صياغة العالم على أساس سياسة الفوضى الخلاقة كما مارستها في أفغانستان والعراق[1].

فالإدارة الأمريكية تحاول تفتيت الدول العربية من خلال تجزئة المجزأ، وزرع السجون في الأرض العربية والعديد من دول العالم لزج المناضلين فيها، على الرغم مما تكبدته في العراق من خسائر فادحة؛ إذ خسرت حتى (2007/7/1م) ما يزيد على (3500) قتيل فضلاً عن الجرحى من جنودها.

والدليل على ذلك انفضاض بعض حلفاء الإدارة الأمريكية وانصداع أمرهم حين انكشفت لهم أغراض هذه الإدارة في أفغانستان والعراق ولبنان؛ بل إن بريطانيا ـ وهي أكبر حلفائها ـ قد أدركت خطأ رئيس وزرائها (طوني بلير) وتبعيته المطلقة للسياسة الأمريكية فحاولت تصحيح صورتها الموروثة. وبرز ذلك حين أقدم ستة وزراء عماليين من حكومته على الاستقالة؛ وازداد الضغط عليه حتى حدَّد يوم (2007/5/31م) موعداً لاستقالته، أعقبها ستة أسابيع لحملة انتخاب زعيم جديد لحزب العمال البريطاني يوم (2007/7/26م) ثم أعلن صراحة في (2007/2/21م) عن سحب القوات البريطانية من العراق. وها هو ذا يرشح يوم الجمعة (2007/5/11م) وزير المالية (غوردن براون) لتزعم حزب العمال ورئاسة الوزراء ويدعمه لشغل المنصبين، وقد جرى كل ذلك،

---

[1] انظر كتابنا (مشروع القومية العربية إلى أين ــ قسم: إخفاق المشروع الصهيوني؛ وسقوط ما يسمى بدعوات الحرية 221 – 230).

فرحل (بلير) وجاء (براون) رئيسا للوزراء رسمياً في (2007/6/27م)، بعد أن حظي ـ هو الآخر صـ بإشادة الإدارة الأمريكية بقيادة جورج بوش الابن.

ومن ثم فالمشروع الصهيو ـ أمريكي حاول خداع العالم بأنه يسعى إلى إشاعة الحرية والديمقراطية في العراق[1]، ولكن الحقيقة الناصعة التي تجلت للبشرية كلها أن أربابه هم من يديرون صناعة الحروب، ويرسمون الخرائط التي تدمر الشعوب وثقافتها من أجل مصالحهم، وهم الذين يشيعون الفتنة والاقتتال بين الفلسطينيين، أو اللبنانيين، ثم يحملون تبعات ذلك لسورية لإركاعها وجعلها تمشي في ركاب السياسة الأمريكية، علماً بأن دولاً عربية وأوربية ترحب بذلك، وهو الذي جعلها تحض ((إسرائيل على توجيه ضربات عسكرية إلى سورية خلال حرب تموز 2006م)).[2] لذلك كله فهم من يتمردون على شرعة الأمم المتحدة، والمبادئ الإنسانية، وهم من يتدخلون في الشؤون الداخلية للبنان والعراق والمنطقة برمتها، بل إنهم ينظمون الجريمة تلو الجريمة للوصول إلى أهدافهم للهيمنة على المنطقة وسرقة خيراتها. لقد أرادوا للجريمة الممثلة باغتيال بيير الجميل ـ مثلاً ـ في أواخر تشرين الثاني (2006م) ـ وهو رأس حزب الكتائب ـ أن تفَجِّر الدم في الرؤوس ليطغى الانفعال على العقل، فينجر لبنان إلى حالة مزرية من الفوضى والاقتتال الذي يخدم الأجندة الصهيونية والأمريكية. وهي جريمة مدروسة بعناية توقيتاً وهدفاً ما يعني أن جريمة اغتيال بيير الجميل إنما هي جريمة سياسية بكل أبعادها؛ على اعتبار أنها تهدف إلى تقليل الضغط الشعبي الذي تقوده المعارضة ضد الحكومة اللبنانية الفاقدة للشرعية ـ في تصور أرباب المعارضة ـ وإلى جر الشارع اللبناني إلى الفتنة والاقتتال، وإلى إثارة موجةِ عداء جارف ضد سورية المتهمة بالاغتيال، وإلى تعزيز الدور الأمريكي ـ الصهيوني في لبنان والمنطقة، ما يشي بأن القوات الموالية للحكومة هي التي تقف وراء الاغتيال المدعوم أمريكياً وصهيونياً. ومن هنا نرى أن هذه الجريمة تأتي في السياق نفسه الذي أتت فيه الجرائم التي

---

[1] انظر انكسارات الواقع وتداعيات العصر 7 – 10 و 43 – 54.

[2] انظر نشرة الصحف الناطقة بالعربية ـ وزارة الخارجية ـ دمشق ـ (2007/6/28م).

سبقتها ولا سيما جريمة اغتيال (جبران تويني) في (2005/11/12م) التي جاءت قبل يوم واحد من إعلان (رايس) لميلاد الشرق الأوسط الجديد. فقد جاءت الجريمة الجديدة حين عجزت إدارة بوش عن الوصول إلى غرضها في تطويع المعارضة اللبنانية. ومن ثم فقد أُريد ـ عمداً ـ أن تطمس أي ملامح مادية تكشف عن مرتكبي هذه الجريمة البشعة، ما أدّى ببعض الضالعين في مخططها إلى تحويل الأنظار عن أولئك الجناة وتوجيه الاتهام إلى سورية وحلفائها في لبنان. ومثل هذا يفعلونه ـ دائماً ـ بعد أن اغتالوا النائب والقاضي (وليد عيدو) وابنه بشارع المنارة ببيروت في (10/ 6/ 2007م) ومن ثم فإن مخططات الاغتيال ـ أياً كان نوعها وتأثير مآسيها ـ إنما تخدم مشاريع الهيمنة التي أعدتها الدوائر الصهيو/أمريكية للسيطرة على الوطن العربي؛ وجرّ حكوماته إلى عملية التسوية مع الكيان الصهيوني؛ في صميم مشروع الشرق الأوسط الجديد، كما سنوضح القول فيه بعد قليل.

وتستمر مقاومة مشاريع الهيمنة على الدول والشعوب طبقاً لميثاق الأمم المتحدة وقوانينها التي حرمت العدوان على السيادة الوطنية لأي دولة...

وهي المشاريع التي كشفت حقيقة الأحداث التي نسجت خيوطها الإدارات الأمريكية المتعاقبة؛ وأرادت من خلالها أن تجعل العالم كله في مواجهة حركات نضال التحرر الوطني والقومي ومقاومتها الشريفة للمحتل... ولذا لا نستغرب أن تخطط لحربها المعلنة على العرب والمسلمين باسم مكافحة الإرهاب.

وفي هذا المقام لم ننسَ لحظة واحدة الدعوات المتكررة للمؤتمرات الثقافية العربية التي وصلت إلى نتائج طيبة في البحث عن سياسة عربية ثقافية موحدة تجمع شتات أبناء الأمة من أجل مواجهة التحديات والأخطار التي تحيق بثقافة الأمة وهويتها مثل (مؤتمر عمان 1967م) و(طرابلس الغرب 1979م) و(بغداد 1981) و(الجزائر 1983) و(تونس 1985م). أما أثرها في الواقع السياسي، وفي كل ما يجري على الأرض فهو دون المأمول منه؛ بعكس ما نراه من نتائج الأبحاث الاستراتيجية للدوائر الصهيو/أمريكية.

ولعل مقومات التغيير التي كونت الخلفيات التاريخية السياسية في كل

قطر عربي كانت وراء عدم التجانس في معالجة عدد من القضايا الفكرية والثقافية والسياسية، و... وفي مقدمتها ما يتعلق بمفهومي السلام والاستسلام باعتبارهما أصبحا متداولين في عملية السلام المتعثرة بين العرب والكيان الصهيوني منذ وقوع النكبة سنة (1948م). ولكي يتضح لنا ذلك كله لابد من كلمة تؤرخ لعملية السلام التي تعثرت في المنطقة لأن أوراق هذه العملية قد اختلطت في الأذهان عند العرب وعند رعاتها بظاهرة الاستسلام إما عمداً وفق ما أثبتته الأحداث وإما جهلاً بحقيقتها.

2 ـ تاريخ عملية السلام:

يزعم عدد من الحكام العرب والمثقفين والسياسيين أن الولايات المتحدة الأمريكية ما تزال راعية لعملية السلام الحقيقي وفق الخطة التي تضعها الإدارات الأمريكية... فإدارة بوش الابن ـ مثلاً ـ أعلنت عن إقامة التسوية السياسية في إطار الدولتين، ثم تابعت إدارة (أوباما) ذلك الجهد، بوصف أمريكا أكثر دول العالم تأثيراً في المنطقة؛ ولاسيما الكيان الصهيوني وبعض حكومات الخليج التي تمتثل لكل ما تصدره الإدارة الأمريكية. فهناك قسم من الحكام يرى فيها أنها ما زالت ترغب في ذلك وفق قانون العرض والطلب، ما يجعلهم يترقبون منها كل جديد أو تغيير؛ وهناك قسم آخر يرى أنها لا تريد إلا أن تشيع في المنطقة روح الاستسلام والذل والخنوع ودوام التخلف والتجزئة فهي تجيد سياسة التهدئة والخداع، وتعمل على صياغة الأفكار المبتذلة، والتأكيدات القابلة للتفسيرات العديدة والمصبوغة بصبغة المجاملة حتى اختلط مفهوم السلام بالاستسلام؛ بدليل تراجعها عن خارطة الطريق التي دعت إليها ودعمتها؛ وهاهو ذا موقفها يتطابق مع موقف الكيان الصهيوني في إبقاء المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية، التي يقطعها /500/ حاجز، فضلاً عن الثكنات العسكرية. ثم إن الإدارات الأمريكية المتعاقبة تدير شؤونها السياسية والثقافية والاقتصادية و.. في إطار مصالحها مع غيرها. وهي تلجأ إلى المهادنة والمراوغة تبعاً لما يفرضه الموقف المستجد مع هذه الدولة أو تلك وفي كل موقف كانت تسعى إلى إضعاف إرادة أي دولة، وتجعلها تستجيب للمنطق

الأمريكي المتطابق مع المنطق الصهيوني. ولعل هذا المنطق هو الذي جعل الإدارة الأمريكية تسعى إلى سياسة الاحتواء لبعض الدول العربية ولاسيما مصر، فتقدم لها المساعدات المالية. وكان جمال عبد الناصر قد رفض تلك المساعدات وفق تلك السياسة، ما أدى إلى حدوث العدوان الثلاثي المشهور ضد مصر عام (1956م).

ثم أعلنت الولايات المتحدة (نظرية الفراغ) التي أنتجت مبدأ (آيزنهاور) عام (1957م) وهي تركز على تقديم المساعدات لدول المنطقة، وتبيح لنفسها التدخل العسكري المباشر في المنطقة لمواجهة الخطر الشيوعي، كما زعمت.

وأيّاً ما يكن رأينا في هذا الشأن فعلينا أن نسترجع تاريخ عملية السلام وما قدمته الإدارات الأمريكية لها، فما من أحد ينسى قرار مجلس الأمن (242) تاريخ (1967/11/22م) الذي ينص على الآتي: " إقرار مبادئ سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط. إن مجلس الأمن، إذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطر في الشرق الوسط، وإذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على أراض بواسطة الحرب، والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة في المنطقة أن تعيش فيه بأمن، وإذ يؤكد أيضاً أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقاً للمادة 2 من الميثاق.

1 ـ يؤكد أن تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ويستوجب تطبيق كلا المبدأين التاليين:

أ ـ سحب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراض احتلتها[1] في النزاع الأخير.

ب ـ إنهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب واحترام واعتراف بسيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة، واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد أو أعمال القوة.

2 ـ يؤكد أيضاً الحاجة إلى:

---

[1] النص الفرنسي يقول من الأراضي المحتلة des Territores Occpués.

أ ـ ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة.

ب ـ تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

ج ـ ضمان المناعة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق إجراءات بينها إقامة مناطق مجردة من السلاح.

3 ـ يطلب من الأمين العام تعيين ممثل خاص للذهاب إلى الشرق الأوسط كي يقيم ويجري اتصالات مع الدول المعنية بغية إيجاد اتفاق، ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقاً لنصوص ولمبادئ هذا القرار.

4 ـ يطلب من الأمين العام أن يرفع تقريراً إلى مجلس الأمن حول تقدم جهود الممثل الخاص في أقرب وقت ممكن.

تبنى المجلس هذا القرار، في جلسته رقم 1382، بإجماع الأصوات".

ولا يختلف عنه القرار رقم (338) لعام (1973م) وفيه نقرأ ما يأتي : " يدعو مجلس الأمن جميع الأطراف في القتال الدائر، إلى وقف كافة أنواع إطلاق النيران والانتهاء الفوري لكل نشاط عسكري في مدة لا تتجاوز 12 ساعة بعد لحظة إقرار المجلس لهذا القرار وذلك في المواقع التي يحتلونها الآن.

ويدعو مجلس الأمن كل الأطراف المعنية إلى البدء فوراً، بعد وقف إطلاق النار. في تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 242 (1967) بجميع أجزائه.

يقرر مجلس الأمن أن تبدأ المفاوضات فوراً، وفي وقت واحد مع وقف إطلاق النار، بين الأطراف المعنية تحت الإشراف الملائم، بهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط". ولكن الصهاينة لم ينفذوا منهما شيئاً، بل سارعوا إلى تأسيس جمعية خاصة باسم (من أجل السلام في الشرق الأوسط) عام (1968م) بغية تنفيذ رؤيتهم التي تحقق مصالحهم. ثم راحت الأحزاب الصهيونية تقدم مشروعاتها التي تبتلع الأرض المحتلة عام (1967م) وتزيد مساحتها، كما تؤكده وثيقة (حزب العمل) الصادرة عام (1970م) وتشدّد على إقامة اتحاد بين (دولة الكيان الصهيوني وفلسطين ولبنان والأردن) على غرار اتحاد (البينلوكس) الذي ضمّ (هولندا وبلجيكا ولوكسمبورغ)، مركزة على أهمية تحقيق السلام للشرق الأوسط.

ثم جاءت حرب السادس من تشرين الأول لعام (1973) لتنتشل النفس

العربية من آثار هزيمة حزيران، ولتؤكد أن الولايات المتحدة بإداراتها المتعددة ـ منذ إدارة جيمي كارتر إلى إدارة ريغان وجورج بوش الأب ثم إدارة بيل كلنتون وأخيراً جورج بوش الابن ـ قد حمَت الكيان الصهيوني وأنقذته من هزيمة محققة في حرب تشرين، ووقفت حارسة لهذا الكيان ضد انتفاضة الحجارة الأولى في (1987م) والثانية (2000م) ودعمته في غزو لبنان غير مرة آخرها العدوان الهمجي عليه في (12/ 7/ 2006م). وهي ما تزال تلعب على المصالح والامتيازات والاستحقاقات القادمة. لذلك وعَدت العرب بحل مشكلة الشعب الفلسطيني، وإقامة سلام عادل وشامل في المنطقة. ولمّا كانت غير صادقة في أي وعد قطعته على نفسها لأن هذه الوعود لا تمثل شيئاً في ميزان الحياد والنزاهة المبدئية الراسخة، ولا تقع في إطار الرغبة التلقائية للإنسان الحر على اعتبار أن أي عملية تسوية سياسية لا تطابق الأجندة الصهيونية غير مقبولة فإنها أغرت الرئيس المصري السابق أنور السادات بوعود شتى وشجعته على عقد اتفاقية (كامب ديفيد) سنة (1979م) مع الكيان الصهيوني برعاية الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر). فكان لها ما أرادت ولا سيما حين كسر المقاطعة العربية لهذا الكيان بزيارته المشؤومة إلى القدس التي ما تزال أسرارها غامضة حتى الساعة، على الرغم من النصائح التي وجهت له بعدم إنفاذها.

فالإدارة الأمريكية لم تهدف بهذه الاتفاقية إلى القضاء على منجزات حرب تشرين فقط وإنما كانت تسعى من خلالها إلى تصفية القضية الفلسطينية، وقتل عملية السلام الحقيقي فيها، وإدامة احتلال الكيان الصهيوني للأراضي العربية... وهذا كله ما دفع المفكر المرحوم إدوارد سعيد ـ الأمريكي الجنسية ـ إلى التصدي للإدارة الأمريكية باعتبارها إدارة منافقة مخادعة منحازة إلى القتلة، ومعادية للحق العربي، وللمعذبين في الأرض... ثم كانت تسعى إلى تفتيت أي نمط من أنماط الوحدة الوطنية والقومية وكانت تحمي الكيان الصهيوني المتمرد على القرارات الدولية مثل قرار مجلس الأمن رقم (446) تاريخ (22/ 3/ 1979م) الذي نص على المطالبة بوقف بناء المستعمرات الاستيطانية، وعلى (إسرائيل) "أن تمتنع من اتخاذ أي عمل قد

يؤدي إلى تغيير الوضع القانوني والطابع الجغرافي، أو أي عمل قد يؤدي إلى التأثير الملموس في التركيبة السكانية للأراضي العربية المحتلة سنة (1967م) بما فيها القدس، وأن تمتنع بشكل خاص عن نقل مجموعات من سكانها المدنيين إلى الأراضي العربية".

وحين كانت قرارات الهيئات الدولية تطالب باحترام حق الشعب العربي الفلسطيني كان الكيان الصهيوني يمعن في عنصريته وغطرسته وتحديه للمجتمع الدولي وتساعده مراكز أبحاث دولية وعربية على خدمة أهدافه الاستراتيجية بما فيها أشكال التطبيع التي يخطط لها[1].

وإذا كان الشعب العربي قد تنبَّه لمخاطر اتفاقية كامب ديفيد فقاومها بسبل شتى؛ وأوله الشعب المصري الشقيق، فإنه استطاع التمييز بين مفاهيم السلام ومفاهيم الاستسلام، فرفض سياسة الاستسلام للأمر الواقع وللقوة الأمريكية كما رفض مفاهيم التطبيع التي تبنَّتها تلك الاتفاقية وكذلك تنبهت الشعوب الإسلامية للمخاطر الصهيونية، وفي طليعتها الشعب الإيراني، الذي حضن الثورة الإسلامية الإيرانية يوم (1979/2/11م) بقيادة الإمام الخميني (رحمه الله)، ومن ثم طردت السفارة الصهيونية وأحلّت مكانها سفارة لفلسطين وتبنّت يوم الجمعة الأخيرة من رمضان يوماً عالمياً للقدس. ولم تكن فاعلية بعض الشعوب الإسلامية بأقل من فاعلية الشعب الإيراني في مواجهة الخطط الصهيونية ـ الأمريكية.

ولعلّ هذه التطورات دفعت بالإدارتين الأمريكية والصهيونية إلى تغيير سياستهما واعتمادها سياسة الحرب الوقائية بشن هجمات عدوانية استباقية، كما نراه حين اندفع الجيش الصهيوني إلى غزو لبنان سنة (1982م) على حين شجعت الإدارة الأمريكية ـ من قبل ـ الرئيس العراقي السابق صدام حسين على غزو إيران تحت ذرائع منع تصدير مفاهيم الثورة الإسلامية إلى دول

---

[1] انظر الأبعاد الفكرية والعلمية 49 ـ 87.

الخليج. لذلك كله قدّمت لصدام كل ما يحتاجه من سلاح مدمّر وفتّاك؛ في الوقت الذي تجاهلت مظالمه في العراق. وجعلت دول الخليج تقف دعماً له سياسياً ومادياً؛ إذ خططت جيداً لكي تدفع تلك الدول فاتورة الحرب بين العراق وإيران.

وشغلت الحرب التي دامت (8) سنوات (1980 ـ 1988م) العالم كله حتى أبعدته عن القضية الفلسطينية؛ بل كاد ينسى عملية السلام برمتها. ولمّا أرادت الإدارة الأمريكية الإجهاز على السلاح الذي قدمته لصدام، وتنفيذ الأجندة الصهيونية بالسيطرة على المنطقة من خلال مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي بدأت ملامحه تتضح اليوم للعالم كله شرعت تعزز في نفس صدام حسين فكرة غزو الكويت، بعد أن تضخّمت نفسه في ذاته ومثّل السياسي المهني الذي جعل الثقافة السياسية حرفة تحقق غايات محددة. وأكل الطُعم فغزا الكويت سنة (1990م) وتدحرجت الكرة التي انتهت بدخول الجيش الأمريكي وحلفائه إلى الخليج العربي. ثم ألقي طُعْم آخر إلى الدول العربية التي شاركت في إخراج القوات العراقية من الكويت، إذ وُعِدَتْ بتحقيق سلام عادل وشامل في المنطقة؛ ما جعلها تشارك في إخراج الجيش العراقي من الكويت مثقلاً بالجراح والهزيمة سنة (1990م). ثم عُقد مؤتمر (مدريد) للسلام بين 30/10- 2/1 - 1991م) برعاية الاتحاد الأوربي وروسيا والولايات المتحدة والأمم المتحدة، وتفاءل العرب بهذا المؤتمر، ولكنهم تبينوا أن الإدارة الأمريكية كانت تلعب بعيداً عنهم، إذ كانت تراقب ـ بالخفاء ـ ما يجري في (أوسلو) من محادثات بين السلطة الفلسطينية والكيان الصهيوني، وهي التي تمخضت عن اتفاقيات (أوسلو) في (13/9/1993م) في الوقت الذي كانت قد شجّعت فيه الحكومة الأردنية على عقد اتفاقية وادي (عربة) بينها وبين الصهاينة في السنة التي تلتها (1994م).

ثم أيقن العالم أن عملية السلام دخلت في غيبوبة؛ ثم ماتت التسوية السياسية موتاً سريرياً وصارت تنقل من زمن إلى زمن ومن مؤتمر إلى مؤتمر، على حين كان بعض الحكام العرب متعلّقين بأمل غائب في مكان ما يسمى (واشنطن)، وبخاصة حين كان عدد منهم يذهب إلى أن أوراق الحل ما زالت

بيد الإدارة الأمريكية وبنسبة (99٪) كما صرّح به ذات يوم الرئيس المصري السابق أنور السادات؛ وإن لم تكن كذلك فهي أقرب إليها. فصدقية الموقف الأمريكي لم تتزعزع في نفوس بعض الحكام الذين جعلونا نبكي على أجنحة الغياب الذي حمل إلينا كل أشكال الهزيمة النفسية والفكرية والعسكرية والتقنية، إذ تبيَّن لنا أنه لم يبق بين أيدي العرب إلا لفافات بيضاء وقع عليها رؤساء للولايات المتحدة وبعض زعماء العرب، وزعماء الصهيونية في تل أبيب؛ بل إن هذه الأوراق نفسها أصبحت تتناقض مع التوجهات الجديدة للإدارة الأمريكية والصهيونية، وقد تناسوا جميعاً أنهم أنشبوا أظفارهم المتوحشة في جسد أبناء العروبة في فلسطين ولبنان والعراق وشوهوا ثقافة السلام لحساب ظواهر الاستسلام والقبول بالأمر الواقع... كانت تلك الأوراق مسوّدة بحبر التوقيع المذل، فزادت آلام الأمة، وألهبت سياط نتائج الاتفاقات المشؤومة أجساد أبناء الوطن، بينما اختنقت أصوات الموقعين عليها؛ وهي ترى آثار رائحة الاستسلام التي زكمت الأنوف من وراء الشاشات والفضائيات، وبخاصة حين كانت تظهر الباكيات المتسلبات العاريات أمام حقيقة التوحش الصهيوني الذي دمَّر الحياة في النفوس. وإذا كان فعل بعض الحكام كذلك فإنه لم يدمر ثقة بعض المثقفين الأحرار بوجود هامات وطنية حرّة حملت على عاتقها همَّ قضية الشعب العربي وفق ثقافة المقاومة الشريفة فواصلت الصراع العنيد في وجه المشاريع الأمريكية والصهيونية. وحينما صمد كثير من أصحاب هذه الهامات بوجه الكيان الصهيوني والدوائر الغربية؛ ودعموا تشبث الشعب العربي الفلسطيني بأرضه، وطفقوا يساندون جذور الانتفاضة الفلسطينية المتأججة فإنهم رفضوا كل أشكال التطبيع ثقافياً وسياسياً واقتصادياً و..... كان أمثال هذه الهامات من الساسة والمثقفين يمثلون ضمير الأمة ولم تتزعزع لديهم الثوابت الوطنية والقومية التي أكدت انتماءهم الشريف إلى الأرض والتاريخ والتراث، فحملوا أمانة الجهاد والنضال حتى تساوى لديهم عشق الحياة والوطن بعشق التضحية في سبيله، علماً بأن هذه الثوابت لم تتزعزع في نفوس كثير من أبناء الشعب العربي والإسلامي وناصرهم عدد غير قليل من شعوب العالم وأحراره وفي طليعته الشعب

الفنزويلي بقيادة هوغو تشافيز.

هكذا تسارعت الأحداث في المنطقة فجاء انتصار المقاومة الوطنية اللبنانية على الكيان الصهيوني مدوياً في (2000/5/25م)، بيد أن الإدارتين الأمريكية والصهيونية قد نسيتا ذلك كلّه وطفق كل منهما ـ وعلى طريقتها ـ تشوهان معالمه، ولاسيما حين وقعت أحداث (2001/9/11م) التي غيَّرت وجه العالم. وتعاطفت شعوب الأرض مع مأساة الشعب الأمريكي وأدانت الإرهاب الذي تعرضت له نيويورك، وغيرها، وأدان العرب قبل غيرهم ذلك الإرهاب، وظنّوا أن الإدارة الأمريكية ستستفيد من هذه التجربة لتحقيق العدالة لقضاياهم الكبرى، ولاسيما القضية الفلسطينية التي تدور حولها عملية السلام، غير أن العرب والمسلمين لم يدركوا أنهم سيكونون الهدف القادم للقوة الأمريكية الفائضة.

فكان احتلال أفغانستان في مطلع (2002م) ثم اندفعت تلك الإدارة وراء أسباب كاذبة إلى احتلال العراق في (2003/4/9م)[1]، وقد أرادت منه بقيادة جورج بوش الابن أن تجعله انطلاقة إلى تنفيذ مشروعها للشرق الأوسط الجديد في تجزئة الوطن العربي وسرقة خيراته، ومن ثمة يكون مكاناً آمناً للكيان الصهيوني بعد أن تستمر سياسة التطبيع العربي معه في كل الاتجاهات. لهذا استمرت الإدارة الأمريكية في تشكيل الحكومة العراقية المتوافقة مع أهدافها[2]، وأمعنت في إشعال حرب أهلية مناطقية عرقية ومذهبية، ولم تأبه لحمامات الدم التي امتلأت بها شوارع المدن العراقية[3]، ولم تتورع أيضاً لفقد ما يزيد على (3200) جندي من جنودها حتى (2007/3/1م)، ولم تُعِر بالاً للرأي العام الأمريكي الرافض لسياسة تلك الإدارة في استمرار احتلال العراق؛ ثم ضربت ما توصلت إليه لجنة بيكر ـ هاملتون بعرض الحائط حين تقدمت إليها بتقريرها حول العراق يوم (2006/12/6م)، على الرغم من أن هذه

---

[1] انظر انكسارات الواقع وتداعيات العصر 12 ـ 20.
[2] انظر انكسارات الواقع وتداعيات الحاضر 20 ـ 22.
[3] انظر المرجع السابق 32 ـ 53.

اللجنة كانت حريصة على إنقاذ هيبة أمريكا من استمرار السقوط في المستنقع العراقي، وساعية إلى الحفاظ على حياة الجنود الأمريكيين. ولعل من أهم ما أوصت به تلك اللجنة دعوة الإدارة الأمريكية إلى سحب قواتها، وأن تعلن تلك الإدارة بأنها لا تريد السيطرة على نفط العراق وغيره، وطلبت إليها فتح باب المفاوضات مع سورية، من أجل دفع عملية التسوية في هضبة الجولان قدماً إلى الأمام... بيد أن إدارة بوش ما زالت تسد أذنيها عن سماع أي نصيحة مهما كانت، ما جعلها مصممة على تبني مجموعة من الأكاذيب الزائفة[1] لتطبيق سياسة الفوضى الخلاّقة في العراق، متجاهلة ما توصلت إليه لجنة بيكر ـ هاملتون وما صرَّح به (ريتشارد بيرل) أحد المحافظين الجدد الذي خطط للحرب على العراق ولمشروع الشرق الأوسط الجديد، إذ قال: "لو طلب مني اليوم أن أذهب إلى العراق لكنت قد أجبت بكلمة لا، وطالبت بانتهاج استراتيجية أخرى"[2]. فهناك تصميم مسبق ومعلن من قبل تلك الإدارة لتنفيذ المشروع المقترح للمنطقة خدمة للأجندة الصهيونية ما أدى بها إلى رفض أي دعوة للسلام، والانسحاب من العراق في الوقت الذي لم تجبر الكيان الصهيوني على التقدم خطوة واحدة نحو السلام وهي التي تدعي أنها راعية له. ولهذا كله فإن عملية السلام تتراجع في فكر الإدارة الأمريكية في العراق قبل فلسطين، لأن هذه العملية لا تخدم الصهاينة؛ علماً بأن الصهاينة يرون أن الشرق الأوسط اليوم ليس هو الشرق الأوسط أيام مؤتمر مدريد؛ ما أدى بأحد الصهاينة إلى القول: "إن الحاجة الأمريكية للخلاص من عبء العراق ليست سبباً للانسحاب من المناطق التي احتلتها إسرائيل قبل (40) سنة، الجمهور الإسرائيلي لن يتنازل عن هضبة الجولان"[3]. فبعض الصهاينة وكل ما قام به قادة الكيان الصهيوني يؤكد أن كل من في الكيان الصهيوني يرفض السلام ويرى أنه جنون يطيح به، كما ورد على لسان البروفسور (يسرائيل

---

[1] انظر المرجع السابق 7 – 12 و 35.
[2] انظر مجلة جيش الشعب ـ العدد (1965)، ومجلة الأرض العدد (3) ـ آذار 2007 ـ ص 42 ـ 52.
[3] انظر مجلة الأرض ـ العدد (3) ـ آذار 2007 ـ ص 46 ـ 47.

أومان) الحائز على جائزة (نوبل) إذ قال: "اندفاعنا الجنوني إلى السلام انقلب لعنة علينا، فهو في الواقع يبعد السلام ويعرض وجودنا للخطر"[1].

هذا هو الموقف الصهيوني من عملية السلام، إنه موقف عدواني إلغائي، لا يملك أي ذرة من حسن النية والصدق، فهو قائم على التسويف والمماطلات مهما قَدَّم من الوعود الخلبية على حين أن العرب ما زالوا متمسكين بمبادرة السلام التي قدمها الملك السعودي (عبد الله) ـ وكان أميراً آنذاك ـ في إطار تقديم ضمانات أمريكية بالتوصل إلى سلام شامل وعادل مع الكيان الصهيوني، علماً بأن أمريكا لم توفر أي ضمانات لتحرير الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات حين حجزه الصهاينة في مقر رئاسته بأريحا بينما كانت القمة العربية منعقدة في بيروت (28/ 3/ 2002م)

ويبدو أن هذه الضمانات التي أعطيت للسعودية كانت مقابل دعم الحرب ضد العراق آنذاك. ومن ثم فنحن لا يعنينا أن بنودها كانت بإيحاء من الصحفي الأمريكي الصهيوني (توماس فريدمان) وإنما الذي يعنينا أنها كانت ذراً للرماد في العيون؛ علماً بأن شارون قد دفنها منذ أن ظهرت. وهذا لا يغمض عيوننا عما كانت تقوم به إدارة بوش الابن؛ إذ كانت تلعب على وسيلة أخرى أكثر خبثاً، فقد أيَّدت (خارطة الطريق)[2] التي دعمتها أوربا وروسيا والأمم المتحدة... وصادقت السلطة الفلسطينية عليها حين صدَّقت أن (خارطة الطريق) ستكون حلاً مقبولاً للقضية الفلسطينية من الأطراف كلها ولكنها سرعان ما فوجئت بالبديل عنها، إذ قدَّم (شارون) خطته الجديدة وساندتها إدارة بوش الابن بكل قوة، ثم ساندت خليفته (أولمرت) للقضاء نهائياً على كل أمل بالسلام. وهذا ما يؤكده الواقع الراهن إذ أصبحت هذه الخارطة تتناقض مع خطة بوش الابن للتسوية، فلم يعد مبدأ الأرض مقابل السلام موجوداً، بل صار الأصح منه السلام مقابل البقاء في الحكم، وربما سينتهي كما قال أحد

---

[1] مجلة الأرض ـ العدد 3 ـ (2007م) ص 33.

[2] انظر النص الكامل في (انتفاضة الأقصى ـ مقدمة النصر القادم) 207 ـ 211 وراجع ما تقدم 159 وانظر ما يأتي 259.

الباحثين: السلام مقابل سلامة الناس. فالإدارة الأمريكية ـ كما يبدو لنا ـ حريصة على تصفية القضية الفلسطينية، في الوقت الذي يعمل فيه الكيان الصهيوني على تمزيق أوصال الضفة الغربية بالجدار العازل، واستغلال الانقسام الحاصل بين الإخوة الفلسطينيين للقضاء نهائياً على مبدأ تقرير المصير.

ومازالت الإدارتان الأمريكية والصهيونية تعبثان بالقرارات الدولية بمثل ما تعبثان بجثمان عملية السلام التي أثقلت كاهل وزراء الخارجية العرب في كل مؤتمر عقدوه. ولعل مواقف الإدارة الأمريكية قد أثارت قلق الشعب العربي، ووصل هذا القلق إلى الأمين العام للجامعة، فأعلن في الشهر العاشر من عام (2006م) وفاة تلك العملية نهائياً. وقد تجلى للمراقب المحايد أن بعض الدول العربية المعتدلة لم يَرُق لها إعلان الأمين العام للجامعة، وأرادت حجب الشمس بغربال، وصمَّمت على تشكيل لجنة عربية للذهاب إلى الولايات المتحدة بعد أن نُقل جثمان عملية السلام إلى الأمم المتحدة... ولكن جهودها باءت بالإخفاق ولاسيما حين صُفعت وصُفع العرب صفعة مهينة للكرامة يوم (2006/11/11م) إذ رُفع حق النقض الأمريكي في وجه قرار عربي لإدانة المجازر الوحشية التي ارتكبها الصهاينة في بيت حانون في حق أسرة الطفلة **(هدى غالية)** التي أبيدت أسرتها كاملة، وكان أعظمها في (11/8) إذ سقط فيه (18) شهيداً من الأطفال والنساء والشيوخ أصغرهم طفلة لا يزيد عمرها على (18) شهراً... وهنا نتذكر تلك الرؤى التي قَدَّمها رئيس الوزراء الصهيوني (أولمرت) لإقامة الدولة العبرية عام (2010م)؛ إذ قال: "ستكون لنا عام (2010م) دولة إسرائيل أخرى، ولن نكون في أماكن لا فائدة لنا من البقاء فيها".

ولهذا بدأ العمل في هذا الاتجاه، فلا بد من حد نسبة الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة عام (1948م)، وإقامة شرق أوسط جديد تكون فيه الدولة اللقيطة آمنة فيه وسيدة ومحركة له وقائدة. وحين صوّبت الإدارة الأمريكية صواريخها نحو العراق، وجَّهت الكيان الصهيوني لإرسال طائراته لتدمير لبنان بوصفه مفتاحاً مكملاً لتحقيق مشروع الشرق الأوسط الجديد. ثم أشعلت نار

الفتنة البغيضة بين الأخوة الفلسطينيين (فتح وحماس) فاقتتلوا قتالاً عنيفاً في غزة أشرسه في (10ـ2007/6/16م). وهو الذي أدى إلى خفض التسوية السياسية، وتمزيق السلطة الفلسطينية وقتل الوحدة الوطنية للشعب الفلسطيني. وكانت الإدارة الأمريكية والصهيونية تنفذ المخطط الجديد، على حين أن الموقف الدولي ظل موقف المتفرج، أما الموقف العربي ـ وفي غياب التضامن الفاعل ـ فقد كان صامتاً؛ بل هناك تواطؤ غير معلن على ما يجري في غزة من بعض الحكام العرب للوصول إلى حالة إنهاء الصراع مع الكيان الصهيوني، علماً بأن الأخوة الفلسطينيين مارسوا تنفيذ المخططات الصهيونية دون أن يدروا؛علماً بأننا لانتكر لحظة واحدة وجود بعض الأيدي الملطخة بعار الاقتتال في داخل الأمن الفلسطيني، ودون أن ننسى أن فكرة إيجاد السلطة الفلسطينية في الأصل كانت بغرض تدمير فكرة المقاومة، ما يعني أن أصحاب فكرة السلطة قد نجحوا في كل ما خططوا له؛ وهو الذي تنبه له (حزب الله) في لبنان ـ كما يظهر لنا ـ فابتعد عن الانغماس في السلطة انغماساً كلياً، ما جعله يحتفظ بصفة الحزب المقاوم، حتى الآن.

وبناء على ما تقدم: من هم أعداء الحقيقة؟ ومن هم أعداء السلام في العالم كله وليس في منطقتنا؟ وما الترتيبات التي تعدُّ لها (كونداليزا رايس) في جولاتها المتعددة إلى المنطقة؟ وما طبيعة المبادرات التي تقدمها؟ هل تعدُّ ـ حقاً ـ لسلام فاعل وحقيقي أم أن هناك حرباً جديدة تعدُّ لضرب سورية أو إيران ولابدّ من الاتجار بعملية السلام من جديد؟

وفي ضوء هذه الأسئلة نرى أنه ما من أحد يفتح عينيه يومياً على بعض القنوات الفضائية إلا سيستمع إلى رزمة من الأقوال التي تدين سورية وتعمل على محاسبتها بحجة عدم تعاونها من أجل تحقيق السلام في فلسطين، وبحجة أنها أرسلت مقاتلين إلى العراق لمقاومة الجيش الأمريكي؛ أو أنها قَدَّمت الأسلحة والمساعدة للمقاتلين فيه، أو أنها ما زالت تتدخل في الشأن اللبناني. فقد أرادت الإدارة الأمريكية الصهيونية عزل سورية عن محيطها العربي وجعلها ـ في أعين العالم ـ عدوة للحرية والديمقراطية والسلام المنشود في المنطقة لكي يسهل الانقضاض عليها، وإركاعها؛ وفرض تبعيتها لمشاريع التقسيم؛ بيد أن سورية

صمدت في وجه عشاق الحروب، وكشفت وسائلهم الإجرامية التي تتوافق مع خارطة الدماء ومشاريع الهيمنة والتقسيم التي أعدّت للوطن العربي، وأثبتت أن أمريكا وإسرائيل هما من ترفضان السلام العادل، على حين أن مصلحة سورية تكمن ـ فقط ـ في تحقيق السلام. ومن ثم فالسلام عند (بنيامين نتن ياهو ـ رئيس حزب الليكود، ورئيس وزراء الكيان الصهيوني) هو ضمان التفوق للصهاينة إذ يقول: "إن السلام بين إسرائيل وجاراتها هو سلام ردع، وإن احتمال تحقيقه يرتبط بصورة مباشرة على قدرة إسرائيل في الردع. فكلما بدت إسرائيل أقوى أبدى العرب موافقتهم على إبرام السلام معها" [1] ثم يقول "لا أمن باستثناء الأمن الذي يعتمد على ردع المعتدي، وهذا هو السلام الوحيد الممكن تحقيقه حالياً بين إسرائيل والعرب، سلام مسلح وحذر يوفر لإسرائيل درجة كافية من القوة القادرة على ردع الجانب العربي"[2].

ثم نتساءل ـ مرة أخرى ـ: من هم أعداء السلام؟ هل هم الذين يدينون تلك الجرائم ويسعون إلى كشف الأيدي الآثمة التي تلطخت بها أم صُنَّاع الشر الذين أغرقوا لبنان والعراق وفلسطين بحمامات الدم وبالجرائم الجماعية المخيفة؟ فالنصوص التوراتية تمتلئ بالروح العدوانية[3] التي تدفع أصحابها إلى القتل والخراب كما جاء في (سفر تثنية الاشتراع ـ الإصحاح 13 /آية 15 ـ 16) وفيهما ورد ما يأتي: (فاضرب أهل تلك المدينة بحدّ السيف وأسلبها بجميع ما فيها حتى بهائمها بحدّ السيف. وجميع سلبها اجمعها إلى وسط ساحتها، واحرق بالنار تلك المدينة). إذاً، وفي نص آخر من (سفر العدد ـ الآية 7 وما بعدها) نقرأ (فقاتلوا مَدْين كما أمر الرب موسى.. وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم وجميع بهائمهم ومواشيهم وأثاثهم غنموها. وجميع مدنهم مع مساكنهم وقصورهم أحرقوها بالنار). مَنْ هم أعداء الحقيقة وأعداء السلام؟ هل هم أولئك الذين وقفوا مع ثقافة السلام الحقيقية ونشؤوا على قيمها

---

[1] مكان تحت الشمس ـ ترجمة محمد عودة الدويري ـ مراجعة وتصويب كلثوم السعدي ـ دار الجليل ـ عمان ـ 1995م ـ ص 288.

[2] المرجع السابق ص 291.

[3] انظر ـ مثلاً ـ العنصرية والإبادة الجماعية 11 ـ 20 و22 ـ 35 والأبعاد الفكرية والعلمية 14 ـ 22.

الروحية والأخلاقية والإنسانية وفق المبادئ الأصيلة وربوا أبناءهم عليها في حياتهم وأدبهم وعلومهم، أم أولئك الذين زرعوا الدمار والقتل في الوطن العربي وأصروا على التوسع في أراضيه لتجزئتها وسرقة خيراتها، وهاهم يسعون إلى الانتقام من صمود أبنائها في وجه حمامات الدم التي تمارس على أرضهم؟. من هم أعداء السلام؟ هل هم أولئك الذين يتبنون ثقافة المحبة والتسامح أو أولئك الذين يحملون عقلية عنصرية توراتية تقوم على قتل الآخر واقتلاعه من أرضه؟ فالثقافة الصهيونية ثقافة عنصرية استئصالية استعلائية وفق نظرية (شعب الله المختار)، ثقافة تفرض على أبنائها مفهوم (الغِيتو) الذي يحرم على اليهود الاندماج مع الآخرين وتؤكد نصوص العهد القديم هذا التوجه العنصري كما في (سفرتثنية الاشتراع ـ الإصحاح 7 / آية 6) ومنه (لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض) وهذا ما يؤكده (آرثر كيستلر) في حديثه عن يهود الخزر الذين يشكّلون القسم الأعظم من اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين؛ إذ قال: "ولكن في الوقت نفسه نمت فيه ديانتهم المقصورة عليهم، والميل إلى الإنطواء على أنفسهم، وإلى العزلة عن غيرهم، وأن يتماسكوا معاً، وأن يقيموا مجتمعاتهم الخاصة بهم، وفيها أماكن عبادتهم ومدارسهم وأحيائهم السكنية وحاراتهم الخاصة بهم وحدهم (الغِيتو GHITTO) وقد فرضوها هم أصلاً على أنفسهم في أية مدينة أو بلد استوطنوا فيه" [1]. وهذا ـ أيضاً ما نجده في الأدبيات الصهيونية كما في قصيدة (الأريكة) للشاعر اليهودي (شاؤول تشرنخوفسكي) التي كتبها في (أوديسا) عام (1897م) ـ وهوالتاريخ الذي انعقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول، ومنها:[2]

ـ يهودي أنت يا بني، في هذا سعادتك
وأيضاً نكبتك

---

[1] القبيلة الثالثة عشرة ويهود العالم ـ ترجمة أحمد نجيب هاشم الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ 1991م ـ ص 140.

[2] انظر ثقافة المقاومة ـ جامعة فيلادلفيا ـ كلية الآداب والفنون ـ ص 255 ـ 256.

فرع سلالة شعب عريق
تفوق عظمتك الشعوب
ما زلت صبياً.. سوف تكبر وتعرف
الأمجاد التي صنعها شعبك
سوف تكون رجلاً.. يد القسوة
ستحل بك.. ستصعقك يا صغيري
ستتيه في الأرض
لكن موطنك واحد.. ومعجزتك صهيون
وإن هويت للقاع.. وإن تأخر يوم الخلاص
لا تيأس يا أسير الأمل
ستشرق شمسنا
هنالك يعسكر العرب
على الأرض وفي الشارون.
ستكون لنا هذه الأرض.

فأي تربية عنصرية عدائية حاقدة أعظم من هذه التربية التي يفوح بها النص؛ فهي تربية إرهابية للقتل واستئصال الآخر. وكذلك فإن هذا الشاعر يقول في قصيدة له بعنوان (أهزوجة لي):[1]

فالأردن لك، ولبنان لك، والسهل والجبل
من نهر الفرات وحتى حماة والصحراء العربية
الحدود التي رسمتها يد الله، تراها عين السحاب
واحتلوا أرضاً بقوة الذراع ولتمسكوها.

ولعل هذه الأسئلة تنقلنا إلى تكثيف الحديث عن دلالة السلام والاستسلام بين ثقافة المقاومة وثقافة العولمة.

---

[1] انظر ثقافة المقاومة ـ جامعة فيلادلفيا ـ كلية الآداب والفنون ـ ص 255 – 256.

obeikandl.com

3 ـ مفهوم السلام والاستسلام بين ثقافة المقاومة والعولمة

إننا نرى أن الحرب بكل أشكالها إنما هي تنفيذ للمفاهيم التي ينشأ عليها مجتمع ما ولاسيما المفاهيم السياسية والثقافية والإعلامية والاجتماعية والاقتصادية التي غدت ـ اليوم ـ تتحكم بمنطق الأشياء لتحقيق مصالح خاصة.

وحين نفتش عن أسباب كل ما يجري في المنطقة يثبت لكل ناظر أن العدوان الذي تتعرض له الأمة العربية والإسلامية من قبل الدوائر الغربية والأمريكية والصهيونية لا يتوقف عند المظهر الاقتصادي والعسكري وإنما يمتد إلى الثقافة والسياسة، والعادات، بل إلى الجانب الروحي نفسه. وما المواقف والتصريحات التي تنطلق من المسؤولين والمراكز البحثية والفكرية والسياسية في تلك الدوائر إلا تأكيد لعدم رغبتها في السلام، والعمل على الإعداد لعدوان جديد. فلو أمعنا التفكير في كل ما يصدر عن المسؤولين الصهاينة ساسة وقادة وعسكريين ومثقفين لوجدناه يصبُّ في خانة التهيئة لعدوان جديد على لبنان وسورية، وربما مصر. وهذا ما يتضح لنا من مقال الكاتب الصهيوني (إيتان هابر) في افتتاحية لصحيفة (يديعوت) تاريخ (2007/2/22م) ومنه: "يجب أن يكون الدرس الأول من الحرب الأخيرة ـ في الحقيقة ـ أنه لا يجوز لنا أن ندعهم يقوون ويطلقون النار علينا. ولكن على حسب هذا المبدأ يحسن بنا أن نبدأ بتوجيه النار ـ اليوم ـ إلى سورية ومصر اللتين تملآن مخازنهما بكميات ضخمة من السلاح".

فالدوائر الغربية تتحدث كثيراً عن السلام ولغة الحوار بين الدول والشعوب، ولكن الأحداث الواقعية أثبتت أنها استخدمت كل ما لديها من خبرة ومعارف وتقنيات متقدمة وأسلحة فتاكة، وعملاء خونة لمحاربتنا دينياً وثقافياً واقتصادياً وتقنياً وسياسياً واجتماعياً و... وللقضاء على كل ما نؤمن به من معطيات وطنية وقومية وإنسانية.... إنها تنفذ عملية تغيير مدروسة؛ إن لم نقل: إنها تتبنى عملية قتل منظمة وفق آليات ومناهج دقيقة لكي نحمل مفاهيم الإدارة الأمريكية ـ الصهيونية، ونصبح أدوات طيعة بيدها.

إن الخط البياني الدقيق لثقافتنا وموروثاتنا وعاداتنا و... يقدم لنا أننا أمة

تعشق السلام وتدعو إليه، وتكره الاستسلام لأنه يزيد في الهوان والضَّعف والعنف والقتل. ومن ثم فإن العدو الغاصب يستمرئ استسلام الآخر، لأنه لا ينتج إلا الظلم والقهر والاستعباد والسرقة والغطرسة؛ بل إنه يزداد شراسة وعدوانية، ويزداد المستسلم تبعية وفقراً وتجزئة. لذلك كله فإن ثقافة السلام في المفاهيم الروحية والدينية والسياسية والثقافية واللغوية والأدبية والأخلاقية عند العرب والمسلمين إنما تجسد مفاهيم المقاومة الحرة الشريفة في أشكالها المتقدمة، ابتداء بالتربية الروحية والأخلاقية وانتهاء بالتربية الاجتماعية والمعرفية والعلمية والعسكرية و... لهذا علينا أن نعد المواطن المخلص للمبادئ الفاضلة وللأرض التي ينتسب إليها ويعرف بها لحراستها من أي أذى دون أن يفكر بالاعتداء على غيره. ومن ثم فهناك علاقة وطيدة بين ثقافة السلام وثقافة المقاومة الوطنية والقومية بينما ينتفي هذا اللقاء بينها وبين الاستسلام؛ وإن كانت الدوائر الغربية والأمريكية والصهيونية تريد أن تطابق بينهما.

ومن يستقص دلالة كلمتي (السلام) و(الاستسلام) في ثقافتنا وعقيدتنا وأدبنا وحياتنا يدرك البَون الشاسع في خصائصهما، دون أن ننسى أن كلمة (السلام) من أسماء الله وتحيتنا للآخر أياً كان موقعه وشأنه وجنسه (السلام) وهذا شيء والاستسلام شيء آخر كما نوضحه فيما يأتي:

1 ـ ثقافة السلام تعزز الانتماء الأصيل وتنميه وتشكل في نفوس الأباة الأحرار حصانة دافعة للهوية الوطنية والقومية، والإخلاص لذلك في كل شأن من شؤون الحياة والثقافة والأدب والفن. فثقافة السلام ـ وفق هذا التصور ـ تدفع الموت عن الإنسان، بمثل ما تنتشل الوطن والأمة من الضياع، على اعتبار أنها جزء من ثقافة المقاومة في حال السلم؛ وهي تظهر على لسان المثقفين الوطنيين أينما كان موقعهم في المجال السياسي أم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والأدبي والفني. فتراهم يناضلون كل من موقعه ليبقى الوطن حُرَّاً وسيداً. وهذا يثبت أن خيارات الشعوب المكافحة والحريصة على كرامتها تختلف عن ضرورات الأنظمة السياسية. وقد أكد الشعب العربي الفلسطيني قدرته على مواجهة الحصار الأمريكي والأوربي والصهيوني، وظل مزروعاً في أرضه بالرغم من الجوع والقتل والتشريد، وأظهر للعالم كله أن الاستعمار

الصهيوني الاستيطاني العنصري يفوق في وحشيته وهمجيته أي محتل مجرم عرفته الدول والشعوب. وحين كان الصهاينة يمارسون التصفية العرقية للفلسطينيين ويتفننون في تشريدهم وتجويعهم كان هؤلاء الفلسطينيون يثبتون أن أرضهم ممتلئة بهم ويكذبون ما زعمته غولدامائير ذات يوم في تصريح لها لصحيفة (صانداي تايمز) في (15 /6/ 1969م) إذا قالت: "ليس هناك شعب فلسطيني.. ولم يكن الأمر أننا جئنا وأخرجناهم من الديار واغتصبنا أرضهم، فلا وجود لهم أصلاً".

ومن ثم فثقافة السلام الجديدة ـ وفق الخطاب الأمريكي ـ الصهيوني المستند إلى مفاهيم العولمة ـ هي ثقافة الرضا والقبول بالأمر الواقع. أي إنها تعزز روح الاستسلام، ما يوحي بإلغاء كل مفاهيم المقاومة أو تغييرها ضد أي محتل غاصب للأرض والعرض، وبمعنى آخر ؛ إن أي عمل مقاوم للخطاب الأمريكي إنما يقع تحت تصنيف الإرهاب، وعلى العرب إدانته. ولا شيء أدل على ذلك كله مما يجري في فلسطين والعراق، فمن يتعرض لطائرة صهيونية أو أمريكية، أو لجنودهما فإنما هو إرهابي، فالتحرر الوطني والقومي أصبح إرهاباً في منظور الخطاب الأمريكي، وهذا أسوأ ما وقع في تاريخ المفاهيم.

2 ـ ثقافة السلام تعزز التآخي الإنساني بين العربي والآخر، فالعربي يبادر أي إنسان له بكلمة السلام، ويعتمد معه مفهوم الحوار ولو كان معادياً له، فهو يتعامل معه على أساس الندية والمساواة وفق ما تبنته لغتنا لدلالة كلمة السلام.

و لو رجع أحدنا إلى تراثنا الأدبي واللغوي والديني لوجد أن كلمة (السلام) تدخل في جملة من المعاني المشتركة، منها الدخول في العهد، أي هي أمان الله في الأرض، والبراءة من النقص والعيب والآفات، فضلاً عن معنى الصلح بعد الحرب، وإشاعة المحبة في الناس.

ومن ثم فإن التحية بلفظ (السلام) تعني ذلك كله ـ على الأغلب ـ كقوله تعالى: ﴿فقل: سلام عليكم، كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾(الأنعام 54/6)

وقوله: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾(الرعد 24/13)، وقال الرسول الكريم: [أفشوا السلام تسلموا] و[أفشو السلام تحابوا][1] ولا تقتصر التحية بالسلام على المؤمنين بل تشمل غيرهم لقوله تعالى: ﴿لا تقولوا لمن ألقى السلام: لست مؤمناً﴾(النساء 94/4)، وقوله: ﴿السلام على مَنْ اتبع الهدى﴾(طه 47/20). وتشمل تحية السلام مَنْ في القبور، كقول الشماخ في رثاء أمير المؤمنين عمر، منه:

عليك السلام من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزَّقِ

وقد سميت الجنة (دار السلام) لخلوّها من الآفات والمكاره، وتحيتنا من الله السلام ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم، تحية من عند الله﴾ (النور 61/24).

ومن ثم فإن مصطلح (السلام) يماثل مصطلح (السّلْم) (بكسر السين وفتحها)؛ ومعناه (الصلح) وهو يذكر ويؤنث، وتسالم القوم: تصالحوا، والمسالمة: المصالحة وترك الحرب، أما الاستسلام فهو الانقياد؛ وفعله استسلم يستسلم واسم الفاعل مُسْتسلم.

وبذلك كله فإن الثقافة العربية القديمة والحديثة أكدت معنى الإخاء الإنساني، وهو ما تضمنته نصوص العقيدة الإسلامية كقوله تعالى: ﴿إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (سبأ 24/34) أو قوله: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (التوبة 6/9).

فالنص القرآني شديد الوضوح في هذا الشأن، بل إنه يطلب من العربي والمسلم أن يجعل عمل الآخر أفضل وصفاً من عملهما كقوله تعالى: ﴿لا تُسألون عما أجرمنا، ولا نسأل عما تعملون﴾ (سبأ 25/34) وقوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسَّلْم فاجنح لها﴾ (الأنفال 61/8). فالنصوص القرآنية تربي المسلم على السلام لا الاستسلام على اعتبار أن السلام يحقق الوجود الحر الكريم، ويرفض الإذعان والتبعية للآخر سواء كان من أبناء الوطن أم من الغرباء، بل

---

[1] (الجامع الصغير 159/1 رقم 1227 و1248).

إن القبول بالمحتل الغريب أمر مرفوض شكلاً ومضموناً، لأنه أقصى أنواع الاستسلام المذل ولابد من مقاومته بكل الأشكال وعلى كل مستوى.

والسنة النبوية تؤكد ذلك، كصلح الحديبية وموقف الرسول والصحابة من كتابة ذلك الصلح حين لبى طلب سهيل بن عمرو، ومحا الكلمات التي تدل على أنه (رسول الله) من الصلح. ثم إن تاريخ الفتوحات الإسلامية يثبت جنوح العرب إلى السلام، كما يستدل من حكم القاضي المسلم الذي حكم بإخراج جيش قتيبة بن مسلم[1] من مدينة سمرقند ـ والحادثة مشهورة ـ أي إن كل ما لدى العرب يؤيد أن مفهوم ثقافة السلام يجسد الوعي التاريخي بحقيقة الكرامة الإنسانية ليبقيها حية في الذاكرة.

أما الاستسلام فما يجر أصحابه إلا إلى الذل والخيبة والتبعية والخضوع، والغربة الذاتية، والانتهاب النفسي والاجتماعي والفكري والعسكري ويسلّم للآخر بكل ما يريد. فهم لا يملكون غير التباكي والعويل تحت كنف السادة في النظام العالمي الجديد الذي أتقن حرفة القتل والسيطرة وسرقة خيرات الشعوب. وعليه فإن حالات الاستسلام لم تزرع في نفوس بعض العرب والمسلمين إلا ثقافة الخوف والمساومة والتطبيع، ولم تورثهم إلا البيوت المهدمة والبائسة والأرض المحروقة، وليست فلسطين والعراق وأفغانستان عنا ببعيد.

3 ـ ثقافة السَّلام عندنا تزيد قدرة المثقفين على بناء الذات القوية والمتسلحة بإرادة المعرفة والدقة والإتقان وتعلم المنهج الصحيح في المعارف والفنون والآداب والحياة. فهي تعزز الوعي الخلاّق لدى أبناء المجتمع لإنتاج الإبداع تلو الإبداع في مختلف الميادين وتخلق الثقة بالنفس وتحرص على الانتماء الصادق في ضوء التربية الإبداعية التي تبدأ بتكوين الذات الحرة الكريمة منهجاً وحياة، وفق إطار المواطنة المؤسسة قانوناً ودستوراً، وهو مبدأ يحقق المثاقفة المعرفية الرفيعة داخلياً ويهيئ لاحترام الآخر وتبادل الخبرات والتجارب معه على اعتبار أن ثقافة السلام ثقافة مقاومة للتخلف والفقر والجهل والتبعية

---

[1] راجع ما تقدم 99.

obeikandi.com

المطلقة لثقافة الآخر. فهي ثقافة تحمل من خصائص التميز والوجود ما يجعلها ثقافة حيَّة وملبية لطموح الإنسان في قيمه ومبادئه الإنسانية الكريمة المتساوقة مع أخلاقيات الشرائع السماوية وشرعة حقوق الإنسان التي أسستها القوانين الدولية، أما مفاهيم الاستسلام فتزيد الجهل والفقر والتبلد والتقليد والمحاكاة، فيتدنى الإنتاج، وتتخلف وسائله... لأنها تسلّم للآخر بأن أصحابها لا يملكون إلا ثقافة مأزومة ومهزومة عاجزة عن تلبية الحاجات ومتطلبات المعرفة والعلم...

4 ـ ثقافة السلام تقوم على احترام الآخر ثقافياً ووطنياً وإنسانياً، وتهيئ للتبادل المعرفي والعلمي بين أبنائها وبينه، ما يعني تعزيز الوحدة الوطنية والقومية وتعميقها ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وتقنياً دون أن تتخلى عن سماتها وخصائصها المعززة لمقاومة الاستلاب والإلغاء والإلحاق.. فالثقافة بهذا المعنى تأخذ من الثقافات الأخرى وتعطيها، تعير وتستعير وتصبح جزءاً لا يتجزأ من الكون الحضاري المعترف به؛ بوصفها ثقافة وطنية وإنسانية تكرم البشرية جمعاء وتقاوم الذل والخضوع. إنها ثقافة تعزز الحرية والكرامة لأنها تقاوم أي اعتداء على الذات الثقافية والوطنية، بل هي ثقافة احترام الوجود نفسه. أما ظواهر الاستسلام فليست ممثلة لأي ثقافة حرة ولن تستطيع أن تصمد أمام القوة الجبارة للآخر وثقافته، ما يثبت أن الوطن لن يكون بمعزل عن التجزئة والهزيمة. وليس ما يجري اليوم على الساحة العربية إلا المثال الصارخ والصادق على ما نقوله، وفي طليعته ما انبثق عن قمة (شرم الشيخ) التي عقدت يوم الاثنين (2007/6/25م) بين (مصر والأردن والسلطة الفلسطينية بقيادة محمود عباس، والكيان الصهيوني بقيادة أولمرت). وما إن انتهت حتى تراجع أولمرت عما وعدها به، فلم يطلق سراح الأسرى، وسارع في اليوم التالي إلى شن غارات على غزة، واستقبل الرباعية الدولية في القدس ليقضي نهائياً على مشروع الدولة الفلسطينية المؤقتة.

ومن هنا فإن روح الاستسلام أسقط الثقافة العربية في المحتوى الاستلابي الذي جعل أبناءها مجرد تابعين في النشاط الثقافي والسياسي، بل النتاج

الحضاري كله. ولا شيء أدل على ذلك كله من أن ظواهر الاستسلام هي التي جرّت العرب إلى سياسة التطبيع مع الكيان الصهيوني، والقبول باحتلال الأرض مقابل ما يسمى بالسلام المزعوم، حتى أذلت الإنسان العربي. ومن ثم تخلّى عن كل ما كان يؤمن به من مبادئ وشعارات وطنية، أقلها "قاطعوا البضائع الأمريكية". فقد صار أحدنا يتغنى بشراء هذه البضائع ويأنف من شراء البضائع الوطنية تحت حجج واهية، ما ألحق بالاقتصاد الوطني ضرراً كبيراً.. وهذا ما تسعى إليه ثقافة العولمة الأمريكية اليوم. فهي مستمرة في الاعتداء على ثقافات البشرية وفق سياسة الاستسلام، لا ثقافة السلام، لأن ثقافة السلام تملك كل عناصر القوة لمقاومة الذوبان في غيرها والاندماج بها، أو التبعية لها سياسياً واجتماعياً واقتصادياً و.... وقد مارست الثقافة العربية منذ القديم مقاومة كل صنوف الاعتداء والاستئصال ابتداء من الاستشراق الاستعماري وثقافة الاستعمار الأوربي وانتهاء بالعولمة التي تعني ثقافة الأمركة كما أكده (بريجنسكي في قوله: "يمارس النفوذ العالمي الأمريكي من خلال نظام عالمي مصمم أمريكياً وفق التجربة الأمريكية". وهذا كاف لتفسير مفهوم العولمة كما عرفه (رولاند وبرتون) بقوله: "تشكيل وبلورة العالم بوصفه موقفاً واحداً، وظهور حالة إنسانية".

وهنا يكمن الصدام الحضاري بين الثقافة العربية ـ الإسلامية كونها ثقافة سلام، وبين ثقافة العولمة التي تُعدُّ ثقافة استعمارية واستعبادية وقاتلة، ومفككة لثقافة الآخر وقاتلة لها وحاضنة لروح الاستسلام والإحباط والخوف والمساومة ونشر الفساد والأمراض الاجتماعية الهدامة.

فثقافة العولمة ـ وإن زعم أصحابها بأنها ثقافة علمية ليبرالية ـ إنما هي ثقافة عدوانية وحشية عنصرية استعلائية تمثل مفهوم العصر الأمريكي المستبد الذي يريد السيطرة على العالم وفق مفهوم القوة الكونية للقرية الواحدة.

في مثل هذا المناخ المواتي سعى أقطاب فلسفة ثقافة العولمة إلى فرض مفاهيمها سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وإعلامياً، وعسكرياً لتعزيز المفاهيم الثقافية والقيم الغربية في إطار ما يسمى اليوم بمشروع الشرق الأوسط الجديد

الذي رضي به عدد من الحكام العرب، في الوقت الذي بدؤوا يتنازلون فيه عن فلسطين وفق خطة اللجنة الرباعية، علماً أن هذا المشروع يتجاهل الوجود العربي شكلاً ومضموناً، لأنه يريد المنطقة برمتها ملحقة بالهيمنة الأمريكية ومشاريعها.

ثم إن الدوائر الغربية عامة والأمريكية خاصة تسعى إلى فرض نزوع الاستسلام وقيمه وفق ظاهرة الاستلاب الحاملة لطوابع الإصلاح والديمقراطية كما هي عليه في التصور الأمريكي. فالإدارة الأمريكية تجعل الآخر العربي يتبنى مفاهيم العولمة، طوعاً أو كرهاً، كأن ينفذها وفق سياسة قابلية الرضا بالأمر الواقع، وتعزيز مفاهيم الدولة القطرية وتجذيرها على حساب الدولة القومية. لهذا تقوم تلك الدوائر بتعزيز ثقافة العولمة بأساليب متعددة وعجيبة، حتى أضحى مفهومها معروفاً للقاصي والداني؛ ومنها:

1 ـ فرض الأجندة الأمريكية ـ الصهيونية وفق مفهوم الدمج والإلحاق والإلغاء علمياً وثقافياً، ونفسياً واجتماعياً و.. ما يعني رفض الدعوات العربية للسلام، والسعي إلى فرض فهم الغرب للسلام وتطبيقه على أبناء المنطقة في إطار فلسفته الخاصة. وقد سخَّر لذلك كله برامج سياسية وثقافية وإعلامية أعد لها كل الأدوات الكفيلة بنجاحها. فلم يبق شبر واحد على الأرض دون تغطية من وسائل الإعلام فضلاً عن الشابكة (الإنترنت) والفضائيات وجولات المسؤولين والباحثين وغيرها. فهناك ضَخٌّ إعلامي مستمر ومنظم لغسل الأدمغة العربية من مفاهيم ثقافة المقاومة بكل أركانها، وطنياً وقومياً وإنسانياً، حتى صدّق عدد غير قليل منا بأن العرب ـ أو بعضهم ـ قد أصبحوا إرهابيين وقتلة، وعليهم الوقوف مع نظام العولمة الجديد الذي تقوده إدارة بوش للتخلص من هؤلاء الإرهابيين، وإلا أصبح كثير من العرب أعداء للديمقراطية والحرية، فأي عالم ظالم نعيش فيه؟!!.

2 ـ القيام بحروب استباقية وتبني مفاهيم الفوضى الخلاقة لإسقاط ثقافة المقاومة بكل خصائصها الإنسانية، وإشاعة مفاهيم الاستسلام. فتلك الدوائر تستند إلى جعل الرافعة السياسية والعسكرية وسيلة للقضاء على ثقافة المقاومة التي أخذت تشيع في الوطن العربي. وقد استفادت هذه الدوائر من بعض تجار السياسة أو بعض الحكام العرب الذين يوصفون بأنهم معتدلون؛ في

الوقت الذي بدأنا نجد فيه تراجعاً لمفهوم المد القومي العروبي؛ إذ أخذ بعض أبناء العروبة يستهجن المفاهيم القومية.

3 ـ اللعب على المصالح الخاصة، واتباع الإغراء المناسب والترهيب المطلوب ــ كالبنك الدولي ــ ومنظمة التجارة العالمية (الكات). فالشركات الاحتكارية الكبرى والمالكة لرأس المال هي التي توظف إمكاناتها المالية الهائلة والمركزية لخدمة الدوائر الغربية عامة والأمريكية خاصة، وهي التي صممت على أن تجعل ثقافتها مسيطرة على غيرها وفق المبدأ الاقتصادي (وحّد تسُدّ)، بموازاة مبدأ (فرّق تسد)، ما يعني سيطرة مفاهيم ثقافة العولمة المساوية لمفهوم الأمركة.

فعملية الدعم الاقتصادي والعلمي والتقني والمالي قد تحقق إنجازات عِدَّة لتلك الدوائر لا تستطيع القوة أن تحققها، ما يعني أن الثقافة الجديدة التي ينبغي أن تتبناها الشعوب إنما هي ثقافة التنافس الصادق والإيجابي بين الفقير والغني، بين الضعيف والقوي، بين المتخلف والمتقدم، بين المسحوق والمظلوم والمتكبر الظالم و... وهل يتوافقان حقاً؟ ولهذا نتساءل: ما النتيجة التي آلت إليها ثقافة المقاومة التي وقفت سداً منيعاً في وجه ثقافة الأمركة؟ هذا ما يمكن أن يتضح لنا فيما يأتي:

4 ـ سقوط الأسطورة واحتضار الخرافة

لم يكن المترددون ـ يوماً ـ أصحاب مواقف قوية في أثناء الأزمات الكبرى التي تتعرض لها الأوطان، ولم تكن الأيدي المرتجفة ـ يوماً ـ قادرة على حمل البندقية وتصويبها بدقة إلى صدور الأعداء. وحينما يقال: إن المواقف العظيمة تصنع الرجال فإننا نؤمن أيضاً بأن الرجال العظماء يصنعون تاريخاً عظيماً في مواجهة المشروع الصهيوني ـ الأمريكي الساعي إلى تهويد فلسطين، والهيمنة على الأرض العربية المجاورة ولا سيما تلك الغنية بالمياه، كهضبة الجولان، وجنوب لبنان. فالمشروع الصهيوني حاول أن يؤكد وجوده في إطار مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي تقوده الإدارة الأمريكية المحافظة بقيادة بوش الابن، في الوقت الذي يسعى إلى إدارة المنطقة وقيادتها وفق رغبات الحركة

الصهيونية، مستنداً إلى ما تأسس بعد هزيمة (5/ 6/ 1967م) حول جيشه بأنه الجيش الذي لا يقهر...

ولهذا حاول الإفادة من الوضع الدولي، والهزائم التي لحقت بالعرب، واستثمار سيطرة الولايات المتحدة على العالم بعد سقوط الاتحاد السوفييتي عام (1991م) لعقد اتفاقيات الاستسلام مثل (اتفاقية أوسلو ـ 1993م) وما لحقها من صكوك التسليم، وكذلك كانت اتفاقية (وادي عربة) لعام (1994م) وغيرها...

ثم أقدم الكيان الصهيوني من جديد على غزو لبنان إثر عملية (الوعد الصادق) التي نفذها (حزب الله) وأسر فيها جنديين صهيونيين من ساحة المعركة، فما ترك هذا الكيان نوعاً من الأسلحة الفتاكة، والمدمرة والمحرمة دولياً إلا ألقى بها على لبنان أرضاً وشعباً. لقد استخدم صواريخ (بوباي لايت، وهاف لايت) والقنابل العنقودية، والانزلاقية والفراغية، والوقودية و... وأي قنبلة من هذه كانت أعظم بكثير من تلك التي استخدمت في حرب الخليج (1991م) وفي غزو العراق (20/3/ 2003م)... دون أن ننسى قذائف المدفعية المنضّدة بالفوسفور الأبيض، علماً بأن طائرات العدو قد نفّذت (8700) طلعة جوية كما أعلنه (صوت إسرائيل) في (6/ 8/ 2006م). وبهذا أخفق سلاح الجو الصهيوني من تحقيق أهدافه، اللهم ما عدا تدمير البنى التحتية التي أراد من ورائها أن ينقلب الشعب على مقاومته، ولكنه خسئ وانكسر.

من هنا يصبح للموقف البطولي الشريف الذي اتخذه قائد المقاومة السيد حسن نصر الله؛ وللأبطال المجاهدين في لبنان قيمة خاصة متفردة ومطلقة ليس ـ فقط ـ في صهر الرجال الأشداء وتمييزهم من الضعفاء الجبناء، ولكن في إحياء روح الانتماء إلى الأرض والعقيدة بكل صدق وإخلاص، وفي إثبات أن هذا الانتماء لا يصان إلا ببذل النفوس رخيصة في سبيله، وإيجاد موقف موحد بين المقاومين من جهة وبينهم وبين حركات النضال الوطني والقومي والدولي كما تجلى في تنسيق الجهود بين المقاومة وسورية وإيران. فالوطن ليس كلمة تلاك في الأفواه، والعقيدة ليست طقوساً تمارس في المكان وإنما هما فعل إرادي مقاوم لكل أشكال الظلم والقهر والتخلف والتمزق والعدوان والضعف

والهوان.

ونحن ـ اليوم ـ لن نتحدث عن الدور الوطني والقومي لسورية ولا عن تضحيات الضاحية الجنوبية في بيروت وصمودها في وجه خفافيش الليل، وطائرات القتل والدمار، ولن نتحدث عن البقاع الصامد الذي أعلن للعالم كله أن أرضه العطرة إنما أخذت حُمرتها من دم الشهداء القاني، ولن نتحدث عن الصمود الخَلاق لقرى الجنوب ومدنه وهي تتعرض لتدمير منهجي ومجازر وحشية جماعية لا نظير لها في التاريخ الإنساني من مدينة صور إلى بلدة قانا وعيترون وعيتا الشعب ومارون الراس وصريفة والطيبة والخيام وبنت جبيل ـ وعفواً إذا ضاق المجال عن ذكر صمود البلدات كلها من البقاع إلى القاع وطرابلس في الشرق والشمال؛ نقول: لن نتحدث عن ذلك كله وإنما سنثبت أن تجربة المقاومة الوطنية اللبنانية التي استمرت /33/ يوماً بدءاً من الساعة التاسعة والنصف صباح الأربعاء (2006/7/12م) قد أكدت لنا أنها مقاومة وطنية لكل فئات الشعب اللبناني، وإن كان حزب الله وحركة أمل يمثلان رأس حربة لها، ما يعني أن نضال أيّ منهما لم يكن لمذهب أو طائفة وإنما كان للوطن والأمة. هكذا كان منذ عام (1982م) حتى (2000م)[1]، وهكذا استمر في مواجهة العدوان الوحشي الأمريكي الصهيوني الأخير في تموز(2006م). ولعل هذا يدعونا إلى تذكر المجموعات اللبنانية التي شكلت نسيجاً وطنياً لبنانياً وعربياً منذ مطلع الثمانينيات من القرن العشرين. فمن منا ينسى أحمد الرحيل الذي قاد طليعة مناضلة في (1982/6/7م) قرب صور بين قرية (البازورية) وقرية (البرج الشمالي) ومخيم البرج الشمالي الفلسطيني. وقد كمنت هذه الكوكبة المؤلفة من أربعة عشر مقاتلاً للواء الصهيوني المتقدم نحو صور فعالجته بقذائف (الآر بي جي) وغيرها من القذاف الصاروخية فدمّرت (26) آلية وأسرت نحو (19) جندياً وضابطاً صهيونياً منهم قائد اللواء.

في تلك المعركة استشهد أحمد الرحيل بعد أن قام بواجب المقاومة

---

[1] انظر أضواء على انتفاضة الأقصى؛ الفصل الخاص بـ (المقاومة اللبنانية أسطورة الصمود والتحرير 169 ـ 195.

والتصدي للغزاة. ومن منا ينسى أولئك الشباب من الحزب القومي الاجتماعي بقيادة (سمير حمدان) الذين تصدوا للعدوان الصهيوني في منطقة عرمون فكبدوا العدو خسائر فادحة؟ ومثل ذلك قاد الشهيد رشيد حمزة مجموعة من الشباب في (دير الراهبات) حين دمروا سيارة جيب صهيونية؟

فالدم العربي الفلسطيني امتزج بالدم الوطني اللبناني في العديد من المواقع في (عين عنوب) و(دير قوبل) و(وادي الزينة) و(الناقورة) و(جنوب صور).. وهو الدم الذي امتزج في حرب تموز ليعلن للدنيا كلها أن النضال الوطني لحزب الله وحركة أمل كان من أجل لبنان والأمة وهو الذي أكد وحدة المصير والموقف.

وبهذا كله أكد لنا حزب الله والمقاومة الوطنية اللبنانية أن القوة العسكرية الصهيونية ـ المدعومة بأعتى قوة على وجه الأرض في عصرنا الحديث، وأعظم الدول تقدماً في التقنيات المدنية والعسكرية، وفي الاتصالات والعلوم، والفضائيات، وأكثرها أتباعاً في الإعلام، إذا استثنينا الخونة والجواسيس ـ قد عجزت عن فك شفرة الخطط التي أعدها حزب الله واختراق بنيته؛ والانتصار عليه على الرغم من أنها خططت للبدء بعدوانها قبل أربعة أشهر؛ إذ اعترف رئيس وزراء الكيان الصهيوني ـ آنذاك ـ (إيهود أولمرت) بأن قرار الحرب على لبنان قد اتخذ في (آذار/2006)، أي قبل أسر الجنديين الصهيونيين على الحدود اللبنانية. ولم يكن هذا الاعتراف تصريحاً منه للصحافة ولكنه شهادة أمام لجنة بدأت تحقيقاتها في (18/ 9/ 2006م) حول حرب تموز، إذ ذهب إلى أن هناك خططاً مُعَدَّة لمواجهة حزب الله في جنوب لبنان. ثم أثبتت هذه اللجنة عجز الجيش الصهيوني عن النيل من المقاومة الوطنية اللبنانية، أو تشويه صورتها بأنها مقاومة شيعية؛ لطائفة محدودة من الشعب اللبناني؛ أو بأنها تحاول السيطرة على لبنان لتصبح لها الكلمة الأولى والأخيرة... فالكيان الصهيوني المدعوم بالإدارة الأمريكية المحافظة جهد في تخويف اللبنانيين من المقاومة الوطنية بقيادة حزب الله؛ علماً بأن هذا الحزب لم يوجه في يوم من الأيام بندقيته إلى الداخل اللبناني، ولا طمع في مكاسب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية على حساب أحد من اللبنانيين منذ أن أطلق

مقاومته الأولى في عام (1983م). كانت مقاومته في سبيل تحرير لبنان، والحفاظ على وحدته في إطار مفهوم العيش المشترك، فضلاً عن أن كثيراً من المقاومين اللبنانيين قد شاركوا في مقاومة العدوان الجديد، وهم ينتمون إلى مذاهب فكرية ودينية لا علاقة لها بحزب الله كما جرى في عام (1983م).

هكذا سقطت القوة الرابعة في العالم بكل وحشيتها وجبروتها وبكل عنصريتها الصهيونية. وليس هذا فحسب بل انفجر العديد من الفضائح المخزية لقادة الكيان وسياسييه ابتداء بالتحرّش الجنسي لرئيس الدولة ووزير العدل وانتهاء بالاتهامات العديدة لأولمرت وقادته العسكريين باعتبارهم مسؤولين عن سبب هزيمة الجيش وانكسار صورته في نفوس الصهاينة فضلاً عن أنه عجز عن النيل من حزب الله، ما أدى ـ أيضاً ـ إلى سقوط هيبة هذا الجيش في نفوس العرب.

إذاً، أخذ التململ يتردد في جنبات الدولة الصهيونية اللقيطة ـ فالجيش الصهيوني راح يلعق هزائمه المرة واحدة تلو الأخرى سياسياً وعسكرياً واجتماعياً؛ إذ خسر من جنوده ما يزيد على (100) قتيل فضلاً عن قتلى آخرين من المدنيين، مقابل (117) شهيداً من المقاومة الوطنية اللبنانية فازداد الاحتجاج الشعبي والعسكري وبرزت الأزمات العديدة على الرغم من زعم (أولمرت) بأنه أحرز نصراً استراتيجياً، وطفق القلق يراود الإدارة اليمينية المارقة بقيادة بوش الابن حول مصير ربيبتها (إسرائيل) بعد أن زودتها بكل آلات القتل والدمار والأسلحة المتطورة أرضاً وبحراً وجواً لقتل الحياة في لبنان وتدمير بنيته التحتية ولكن هذه الأسلحة في الجو والبر والبحر عجزت عن النيل من المقاومة، بل إن هذه المقاومة كانت تصطاد الدبابات الصهيونية في كمائن عدة، وأنزلت بها خسائر جسيمة كما في وادي (الحجير)، وصار الجنود ينتظرون الخروج من المأزق الذي أوقعهم به قادتهم... ومن ثم فإن هذه الأسلحة لم تصل بهم إلى أيّ من الأهداف التي شنت الحرب من أجلها فلا (الجنديان الصهيونيان) الأسيران رجعا بقوة الوحشية الصهيونية، ولا سلاح حزب الله دمّر، ولا تنظيمه قد تخلخل أو ضعف او انفض الناس من حوله في لبنان وخارجه، بل اجتمع العرب والأحرار حوله... وازدادت الثقة بالمقاومة الوطنية

اللبنانية وبقائدها الذي أحكم مع رفاقه المناضلين من كل الفئات قيادة المعركة يساندهم إعلام المقاومة في خطة نفسية مدروسة لنقل الخوف والرعب إلى قلوب الصهاينة، ولا سيما حين كان قائد المقاومة يظهر المرة تلو الأخرى على التلفاز ويطلق عباراته الشهيرة على التوالي: (سنضرب ما بعد حيفا، ثم ما بعد بعد حيفا)... وتطابق الفعل مع القول؛ وصدَّق المقاومون مقولات قائدهم، ما أوقع الرعب في نفوس الصهاينة، وطفقوا يؤمنون بأن تصريحاته هي الصحيحة على حين أن تصريحات قادة العدو كانت كاذبة...

وفي ضوء سقوط الجيش الأسطورة وخرافة القوة التي لا تقهر فإن نظرية (الأمن) التي تبجح بها الكيان الصهيوني قد سقطت؛ وكذلك سقطت كل مفاهيم (الحرب الاستباقية) أمام إرادة المقاومين الأبطال في جنوب لبنان، وبطولاتهم المعجزة التي اعتمدت أسلوب المفاجأة والردع بالمثل، واتخاذ طريقة الخطوة خطوة والمجموعات القليلة في القتال، فضلاً عن استثمار الأنفاق والتمويه والاختفاء في الوقت المناسب أحسن استثمار.

ثم تفتقت عبقرية الإدارة الأمريكية والرئاسة الفرنسية بقيادة (جاك شيراك)عن قرار مجلس الأمن الجائر (1701) الذي جَهِد العالم في تعديل بنوده بكل ما احتوت عليه من ظلم لقهر لبنان ومقاومته الباسلة إذ خططت تلك الإرادة إلى قلب انتصار المقاومة الوطنية اللبنانية إلى خسارة مستفيدة من سيطرتها على مجلس الأمن، لتنفيذ قراره (1559) بشأن نزع سلاح حزب الله...

ثم ضُرب الحصار الصهيوني على لبنان على الرغم من صدور القرار المذكور ليؤكد أن قوى الظلم في العالم واحدة، وهي تتركز في القوة الأمريكية التي تعد أعتى قوة في العالم وبخاصة حين انفردت بالقرار الدولي، وطفق الأتباع في الخارج والداخل يصفقون لها... ولا سيما حين شرعنت وقف العدوان الصهيوني بالقرار (1701).

لهذا لم يعد هناك ما يقال عن استهزاء الإدارة الأمريكية بعملية السلام، وتسخير الأمم المتحدة لمصالحها بعد قرار مجلس الأمن المشار إليه والمتعلق

بلبنان والقرار الآخر المتعلق بالسودان برقم (1706) بيد أنه يمكننا القول: لقد اتضحت للعالم أكاذيب الإدارة الأمريكية، فهي لم تؤمن بالسلام يوماً، وإنما كانت تسعى إلى جعل لبنان بوابة أخرى للسيطرة على الوطن العربي وفرض ما يمكن أن يطلق عليه ثقافة الاستسلام والخوف، وفرضها على العرب والمسلمين وأحرار العالم. ثم إن أقنعتها قد سقطت بمثل ما سقطت معها القوة الصهيونية بعد أن كانت أشبه بالأسطورة. وفي الوقت نفسه سقطت هيئة الأمم المتحدة الخُرافة لأنها غدت ألعوبة بيد دولة مارقة فاقدة لقيم العدالة ما جعلها دولة عدوانية عنصرية استعلائية لا تقيم لحقوق الإنسان وزناً ولحقوق الشعوب قيمة، ولاسيما الشعب العربي.

وقبل أن أنهي حديثي عن سقوط خرافة الجيش الذي لا يقهر فإني أذكر بسقوط خرافة أخرى تتعلق بقوة الاستخبارات الصهيونية. وقد تجلى إخفاق الاستخبارات الصهيونية في العديد من مواقف الحرب، منها أسر الجنديين الصهيونيين من موقع عسكري قرب مستوطنة (أَفيفيم) وقتل عدة جنود فيه، وانسحاب مقاتلي حزب الله بسلاسة وأمان، ومنها ـ أيضاً ـ إخفاق العدو بالحصول على معلومات دقيقة عن وجود الأمين العام لحزب الله، وهو ما نتج عنه إنزال وحدة من الكوماندز في البقاع فباءت بالخذلان. ومثلها كانت المعلومات حول وجوده في الضاحية الجنوبية، وفضلاً عن ذلك كله فإن الاستخبارات الصهيونية أخفقت باختراق حزب الله. فلم يَعُد للموساد هذه القدرة التي سوّقها العدو لجهازه، على اعتبار أنه عجز عن معرفة مكان الجندي الصهيوني (جلعاد شاليط) الذي أسرته المقاومة الفلسطينية بعد إصابة دبابته ومقتل قائدها في (2006/6/25م). ولا مثيل لهذا السقوط المخزي إلا عجز الإدارة الأمريكية عن العثور على قادة القاعدة أسامة بن لادن والمُلاَّ (عمر) في أفغانستان، ما جعلها تشتري الخونة، وهم من أرشدوها إلى مكان (أسامة) فقتلته... ثم إن تاريخ الحروب الأمريكية تؤكد أنها كانت تختار أهدافها الضعيفة لضربها كما رأينا في حرب فيتنام، وغرينادا ولبنان (1983م) والبوسنة والهرسك، وأفغانستان والعراق... وليس لدينا شك في أن طائراتها وصواريخها المتطورة تستطيع تدمير الحياة على الأرض من مكان

بعيد، لكن جنودها إذا وضعوا أقدامهم على الأرض العربية فإنها سرعان ما تغوص في القاع وينكشف ضعفهم، وتظهر خيبة إدارتهم. ولا شيء أدل على هذا ممّا يجري في العراق.

وبعدُ، فهل يعني كل ما أشرنا إليه أن الكيان الصهيوني الذي اعترف قادته راغمين بعدم قدرتهم على تحطيم قدرة حزب الله ونزع سلاحه سيصبح راغباً في السلام العادل والشامل؟! وهل استطاع وعي الدرس الأخير جيداً أم أنه ماضٍ في ضلاله وأكاذيبه؟ الجواب يؤكده مؤتمر (هرتسليا) السابع الذي عقد في الفترة ما بين (21 ـ 24/ 1/ 2007م) والذي ينظمه سنوياً (معهد السياسة والاستراتيجية) و(مدرسة لاودر للحكم والدبلوماسية والاستراتيجية). وتعددت فيه الآراء والأبحاث، ولعل من أهمها أن مبدأ ((الأرض مقابل السلام)) لم يعد يلبي هدف الصهاينة، ولا بد لهم من تقوية المصطلحات الصهيونية الوطنية، وتعزيز المناعة القومية للصهاينة، و((على إسرائيل أن تتمترس وراء مواقفها [السياسية] إلا إذا اختارت شنَّ الحرب، كما يستدل من توصيات بعض المتحدثين))[1]

أما (عمير بيرتس) وزير الدفاع الصهيوني في حرب تموز (2006م) فقد ذهب إلى أن تحقيق السلام يوجب على الكيان الصهيوني أن يضرب المقاومة الوطنية اللبنانية والعربية (ضربة قاسية) لم يعرفوا نظيراً لها.[2].

ولذا قَدَّم الموساد الصهيوني اقتراحات عديدة باغتيال السيد حسن نصر الله ورفاقه، أو نفيهم إلى طهران،[3] في الوقت الذي مازال يسعى إلى محاسبة سورية وعزلها ومعاقبتها لدعم المقاومة الوطنية اللبنانية. وعليه فإن المشروع الصهيوني العنصري يحاول أن يسترد قوّته الردعية ويعيد بناء قدراته البشرية والعسكرية... فقادته لم يؤمنوا يوماً بأن مشروعهم قد هُزم، بل هم يظنون أنه قادر على قلب الأوضاع ولا سيما إذا تحقق تحوّل نوعي في الإعداد الاستراتيجي

---

(1) مجلة الأرض ـ العدد 3 ـ 2007م ـ ص 38.
(2) انظر صحيفة (يد يعوت أحر ونوت ـ 14/ 7/ 2006م ـ مقال لأليكس فيشمان.
(3) انظر صحيفة الخليج (25/ 7/ 2006م).

من أجل معركة فاصلة مع سورية والمقاومة الوطنية اللبنانية بقيادة حزب الله في الوقت الذي تسعى إلى تمزيق مقاومة الشعب العربي في فلسطين والعراق وتأليب العالم عليها.

ومن ثم علينا تأسيس الإرادة الصلبة وتنمية الوعي بثقافة المقاومة ومفاهيمها وأساليبها وجعلها أصل بناء حياتنا وأوطاننا، مع الاندماج الحقيقي في النضال القومي والإنساني.

ولا بد لنا من الاستغلال الأمثل لمواردنا ووسائل التثقيف والإعلام في كل مجال؛ حتى يمكننا الصمود والنهوض الفكري والحياتي.

هكذا تبين لنا الفرق الكبير بين ما نحن عليه من تنابذ وفرقة في المواقف والآراء، وبين ما هو عليه عدونا المتربص بنا وبأرضنا الدوائر، ما يثبت أن أنماط المقاومة السلمية ليست السبيل الوحيد للمقاومة، فهناك أنماط مادية عسكرية ينبغي أن نوفرها لمجابهة العدو الصهيوني. وهي التي تحقق روح الاستنهاض للأمة؛ وتكسر شوكته التي طالما تفاخر بها.

5 ـ المقاومة استنهاض وانتصار:

ليس هناك شك في أن العدوان الوحشي الصهيوني الذي بدأ على لبنان /المقاومة منذ (12 /7/ 2006م) قد أدى إلى نتائج كبرى على الصُّعُد كلّها داخلية وخارجية، محلية وعربية، إقليمية ودولية.

وقبل أن نشير إلى أبرزها يمكننا ـ هنا ـ أن نثبت أن المقاومة الوطنية اللبنانية بقيادة حزب الله قد حققت مكونات المقاومة المشار إليها سابقاً، إذ أكدت من خلال مبدأ التربية المنهجية العلمية تلك الأركان في نفس كل مقاتل، وزودته بعقيدة وطنية قومية إنسانية تنبثق من عقيدة روحية سامية؛ ما حقق لها بصدقها وإخلاصها تنمية معرفية وبدنية، علمية وتقنية على الصعيد الفردي والجماعي وخلق لدى المقاومين كافة المبادرة الرائعة لمواجهة أي موقف معقد. وحينما ربطت بين الفعل الوطني المقاوم والفعل الشعبي فإنها حققت نوعاً من العلاقة الوطيدة بينه وبين الفعل القومي المقاوم والإنساني ما يثبت أن مواجهة العدوان الصهيوني ـ الأمريكي الهمجي إنما تنبجس من أصالة الهوية

والانتماء بأبعادها المتعددة وطنياً وقومياً وإنسانياً.

ولعل من أهم تلك النتائج التي اتضحت محلياً وعربياً وإقليمياً أن الصراع العربي الصهيوني صراع وجود لا نزاع حدود، على اعتبار أن المشروع الصهيوني مشروع سياسي عنصري استيطاني استئصالي وتدميري يخالف كل القيم النبيلة والشرائع الأخلاقية والمواثيق الدولية الإنسانية، فهو مشروع لا يقبل الآخر إلا إذا كان عبداً تابعاً وذليلاً في الوقت الذي يسعى إلى ابتلاع الأرض وتدنيس العرض ما يعني أن حزب الله ومَنْ يقف معه من تيارات المقاومة الوطنية مثّلوا القدرة على نشر الفكر المقاوم بين العرب ليصبح مشروعاً قومياً حضارياً بعيداً عن الطائفية أو المذهبية المتعصبة.

ثم تأكد لنا ولكل عاقل في العالم أن الحرية والكرامة نتيجة طبيعية للمقاومة الشريفة والإرادة الصلبة لكل شعب أياً كان عدده وعدته. فالقيمة الفُضلى التي أسسها أبطال المقاومة اللبنانية تتمثل في أن العدد القليل المؤمن بقضيته؛ الصادق في وعده وعهده، الخبير الواعي والعارف بقدرته وقدرة عدوه ومكامن ضعفه والمدرب جيداً يمكنه أن يجترح المعجزات، وأن يتصدى لآلة الموت. ومن ثم أعلن حزب الله للعالم كله أن الإنسان أقوى من الدبابة والجرافة، وأن العربي قادر على استيعاب أعقد التقنيات، والتعامل معها في أعقد الظروف. فالعدوان الصهيوني الحاقد أراد اجتثاث المقاومة الوطنية اللبنانية بدعم سافر من آلة الموت الأمريكية الجبارة والمتطورة وبمروق عدد من الدول الأجنبية وصمت عدد آخر وارتباك مواقف بعض الدول العربية. لهذا كان مسلسل الإبادة الجماعية للبشر، والحجر والشجر خلال (33) يوماً إرهاباً وحشياً لا مثيل له في التاريخ، كما ظهر للقاصي والداني؛ إنه مسلسل إجرامي مخيف، لكنه أثبت في الوقت نفسه أن الأحرار والشرفاء في لبنان قد التفوا حول المقاومة؛ ما أدهش العالم كله وأذهل الكيان الصهيوني الذي امتلأت نفوس قادته وشعبه بكراهية اللبنانيين، كما امتلأت بالحقد المدمر للبنان، فقد كان فوق التصور؛ إذ تجاوزت عمليات القتل والإبادة كل حدود العقل والمنطق؛ فقتلت آلته العمياء ما يزيد على (1182) من الأبرياء أطفالاً ونساء وشيوخاً، كان بينهم نسبة (40٪) من الأطفال، وجُرح ما يزيد على (4)

آلاف، وهجّر مئات الآلاف ودُمرت البنى التحتية برمتّها لكن الحياة تولد من قلب الدمار؛ وعلينا أن نجعل ذلك الدمار الوحشي مادة سياسية وقانونية وثقافية لإدانة الكيان، وأسياده بدل أن نتباكى على الخراب، صحيح أنه عدوان وحشي تدميري لكنه كان يسعى إلى فرض القوة الصهيونية وتصفية حزب الله من جهة؛ وإركاع العرب تحت أقدامها من جهة أخرى.

إذاً؛ انكشفت حقيقة القوة الهمجية الصهيونية، فالشعب العربي لم يعد يخاف هذه القوة، فقد صفعتها المقاومة اللبنانية صفعة قوية، في الوقت الذي أدرك أن الأنظمة العربية أخذت تخسر كل حظوة لها عند أمريكا بعد أن عجزت عن مواكبة التحولات الكبرى في هذه الحرب. ومن ثم سقط خيار السلام الاستراتيجي على اعتبار أن حجم تنازلات بعض الأنظمة العربية ارتفع إلى درجة غير منطقية..

وعلى الرغم من ذلك نرى أن تلك الصفعة لا تعني الانتصار الكامل على القوة الصهيونية، ولا تعني الهزيمة المطلقة للجيش الصهيوني ولا سيما حين أسرعت الإدارة الأمريكية بمساعدة أوربية عامة وفرنسية خاصة إلى انتشاله من حالة الهزيمة الشنعاء التي أصيب بها؛ إذ عملت أمريكا وفرنسا على إصدار مجلس الأمن للقرار (1701) في (12 /8/ 2006م) الذي انحاز إلى جانب الصهاينة كما قرأناه في مادتيه (14) و (15) إذ حمّل لبنان /المقاومة المسؤولية عن شن تلك الحرب. وكذلك تضمن عدداً من الأفخاخ بما فيها الحديث عن إيقاف العمليات العدائية بين الطرفين المتقاتلين فساوى بينهما مع أن القوة الصهيونية المالكة للتقنيات ولكل عناصر التوحش محتلة ومعتدية على سيادة دولة عضو في الأمم المتحدة. فالكيان الصهيوني لم يحقق أهدافه كلها، على الرغم من تفوقه العجيب في تدمير البنى التحتية للبنان وقتل الأبرياء والمدنيين، ما جعل الصحف الإسرائيلية تركز على مفهوم هزيمة الجيش الصهيوني باعتبار أن نتائج هذه المعركة لم تؤدّ إلى النجاح الكامل للأهداف التي تعهّد الكيان بإنجازها وبسرعة قصوى.

من هنا نرى أن العدوان لن يتوقف ولن ينتهي على الأمة، وهو يظهر بأشكال شتى كإثارة الفتنة القاتلة بين أبناء الأمة، كما حدث في مخيم (نهر البارد) حين لجأ العدو الأمريكي الصهيوني إلى تنفيذ ما يعرف بالخطة (ب).

ومن ثم تورط الجيش اللبناني في قتال شرس مع ما يسمى منظمة (فتح الإسلام) قتالٍ خسر فيه حتى تاريخ (2007/6/16م) ما يزيد على (80) قتيلاً، و (400) جريح؛ قتال دام ما يزيد على (27) يوماً ولم يعرف أحد بعد هذه المدة تاريخاً يتوقعه لنهاية هذا الاقتتال الدامي... على اعتبار أن الإدارة الأمريكية قررت ـ آنذاك ـ أن يكون لبنان بعد العراق بوابة يُعْبَر منها إلى ما يعرف بسياسة (الفوضى الخلاّقة) ونشرها في المنطقة. ولكن مسعى إدارة بوش الابن أخفق في لبنان ونجح في أماكن أخرى، وفق تجليات الأحداث التي جرت في السودان ـ مثلاً ..

ولعل القراءة الدقيقة في تقرير (سيمور هيرش) يكشف لنا عن فداحة صناعة الفتنة التي تنفذها تلك الإدارة بهدف تفتيت الدول العربية إلى مذهبيات وطوائف وعرقيات[1]. ولهذا نتوقع بأن الحروب القادمة ستكون صعبة وأشد ضراوة وقسوة على الأرض والإنسان وفق ما تشير إليه الأحداث[2]، علما بأن القوات الأمريكية والصهيونية أجرت مناورات مشتركة لمدة أربعة أيام اعتباراً من (2007/5/14م) في صحراء النقب المحتلة.

وإذا كنا نحتفل بنصر المقاومة الوطنية اللبنانية في حرب تموز (2006م) فلأننا لم نتعوّد مثل هذا النجاح من قبل ـ على حلاوة النصر الجزئي الذي ذقناه في حرب تشرين ومثله حلاوة خروج الجيش المحتل الصهيوني في (2000/5/25م) من جنوب لبنان ـ فللمرة الأولى تسقط المعادلة الصهيونية الحربية مع العرب. فقد ذاق الصهاينة طعم الموت المر نوعاً وعدداً في ساحة الحرب وفي داخل الكيان، كما شاهدنا بأم العين وللمرة الأولى ـ أيضاً ـ صورة احتراق دبابة (الميركافا) التي عُدّت عند الكيان الصهيوني بيت الأمن والأمان، وصورة غرق البارجتين (ساعر 5 /5 وساعر 5 /4) بصواريخ الأبطال الميامين، وطالما كان يفتخر بدباباته وبوارجه. أما مشاهدتنا للصواريخ التي ضربت

---

(1) انظر مجلة إلى الأمام ـ (العدد 2356 – نيسان /2007م) – ص 24 –25.

(2) حين كتب هذا الكلام لم يكن العدوان على غزة في (2008/12/27م) قد حدث، ولم يكن ما يسمى (الربيع العربي) قد كشف عن وجهه المدمر لبعض البلدان العربية (انظر سورية الاستهداف والمؤامرة 15 ـ 33).

العمق الصهيوني فهي الدليل الحقيقي على سقوط نظرية الأمن الإسرائيلي التي كان يعمل عليها خلال عقود طويلة؛ فصواريخ المقاومة الباسلة والتي بلغت (4000) صاروخ ودكَّت تحصينات العدو ومواقعه تُعدُّ ردة فعل قوي على ما ارتكبته طائراته ودباباته وبوارجه من أعمال إجرامية طالت الأرض والإنسان والحياة. ولما ردَّ المقاومون بذلك أكدوا أن بإمكان العرب أن يصلوا إلى عمق العدو، وأن يرعبوه كما أرعب الأطفال والنساء والشيوخ حين رماهم بكل شره وحقده، فالرعب يقابل بالرعب، وإن لم تعادل قوة المقاومة قوة العدو المتغطرس. وفي هذا المقام لا ننسى أن نشير إلى أن إحدى طائرات المقاومة الإسلامية قد اخترقت النظام العسكري والتكنولوجي المعقد للكيان الصهيوني، ونقلت صوراً للعمليات التي يعدّها في منظومة (أبولو) ما جعله يجن جنونه، على حين تيقنا ـ نحن العرب ـ بأن اختراق تحصينات العدو أمر ممكن وليس مستحيلاً، كما كنا نتخيل ونتوهم.

فالدولة الصهيونية اللقيطة تعرضت وتتعرض لأزمات شتى على مختلف الصُّعد سياسياً وعسكرياً وأخلاقياً ومالياً، إذ كشفت حرب المقاومة اللبنانية مدى الضرر الذي يلحق بالعدو، بل أوضحت أنه يعيش في مستنقع متلاطم من الفضائح.

وكانت دولة الكيان الصهيوني قد حاولت تقليص التكاليف العسكرية لحساب إصلاح الرفاهية الاجتماعية، بعد أن كانت تمثل الدولة الجيش والجيش الدولة وترتكب أبشع الجرائم، ظناً منها أن مجازرها الوحشية الجماعية ستكسر إرادة الشعب العربي. ولهذا كان عدوانها الشامل على لبنان معتقدة بأنها تعوّض فيه عن هزيمتها في (25 /5/ 2000م). وكانت في ذلك كله تنفذ رغبة إدارة بوش الابن يوم (2006/7/12م) إذ شنّت عدواناً شرساً وهمجياً على لبنان قبل الوقت المضروب له على اعتبار ما كشف عنه (أولمرت) في (2007/2/1) أمام لجنة شكلها الكيان الصهيوني برئاسة (إلياهو فينوغراد) في (2006/9/18م). وقد أفاد بأن الحرب خطط لها في الدوائر الصهيونية منذ شهر كانون الثاني (2006م) واتخذ قرارها في آذار لعام (2006م) وتمت مراجعتها في نيسان وأيار؛ من أجل تطبيق القرار رقم

(1559) القاضي بنزع سلاح المقاومة اللبنانية. ثم جاء أسر الجنديين الصهيونيين في عملية (الوعد الصادق) سبباً مباشراً للعدوان الصهيوني ـ الأمريكي على لبنان. وطفق الجيش الصهيوني يدمر كل شيء تدميراً منهجياً وفق مبدأ الأرض المحروقة، ويرتكب المجازر الوحشية الجماعية دون رادع من ضمير أو أخلاق لزرع الخوف في نفوس الناس، وجعلهم ينقلبون على المقاومة، ويُغَشُّون عيون العالم عما يحدث في داخل الكيان الصهيوني نتيجة ضربات المقاومة الشديدة التي استمرت حتى الدقيقة الأخيرة؛ ضربات طالت العمق الصهيوني وتركت فيه أثراً عظيماً بمثل ما أثبتت جملة من الحقائق على الأرض عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، وأظهرت للدنيا كلها أن القوة الصهيونية المتغطرسة لسنوات طويلة قابلة للاهتزاز والإصابة بزلزال كبير ما جعل لجنة فينوغراد توصي باستقالة أولمرت لهزيمته في تلك الحرب وترمي وزير دفاعه (عمير بيرتس) ورئيس أركان الجيش السابق (دان حالوتس) بشظاياها، وكان الغرض من إنشائها التستر على نتائج الحرب في الداخل الصهيوني، كما توصل إليه تقريرها الذي عرفته الأوساط السياسية يوم الخميس (2007/5/10م).

ويمكن أن نشير إلى عدد من الفضائح التي وقعت على مستوى الكيان الصهيوني:

1ـ رئيس الدولة (موشيه كاتساف) خضع للتحقيق بتهمة الفساد والتحرش الجنسي بالموظفات وإقامة علاقات جنسية مع اثنتين منهن بالإكراه. وهاهو ذا قد تعرض لضغط كبير فقدّم استقالته، ثم انتخب الكنيست يوم الأربعاء (2007/6/13م) شمعون بيريز رئيساً للكيان. لقد انتخبه مكافأة له على الجرائم التي ارتكبها بحق العرب في فلسطين ولبنان؛ فليس هناك إنسان ينسى ارتكابه للمجزرة الوحشية والهمجية في قرية (قانا) اللبنانية عام (1996م)، وذهب ضحيتها ما يزيد على (100) لبناني أكثرهم من النساء والأطفال.

2ـ رئيس الوزراء (إيهود أولمرت) وزوجته (عاليزا) تعرضا للتحقيق بتهمة تلقي رشوة نتيجة بيع عقار استفادا منه لشراء شقتهما الفاخرة.

3ـ وزير العدل (حاييم رامون) ـ وهو أحد أعضاء حزب كاديما الذي يرأسه أولمرت ـ قدّم استقالته نتيجة تأكد التحرش الجنسي بموظفة حكومية.

4ـ رئيس أركان جيش العدو (دان حالوتس) باع حقيبة أسهم في البورصة إبان نشوب الحرب لزيادة ثروته، ثم قدم استقالته أخيراً، كإحدى أهم نتائج تلك الحرب.

5ـ رئيس كتلة كاديما البرلمانية (أفيغدور إسحقي) متهم بالفساد المالي.

6ـ عزل قائد القوات الصهيونية في الشمال الجنرال (آدم) والمعركة دائرة، وهو ما لم يحصل في تاريخ المعارك.

7 ـ هناك لجان عديدة تقوم بدراسة أسباب هزيمة الجيش، وتدمير دبابة (الميركافا) وتقليص عدد الدبابات في المعارك وفق ما جرى في جنوب لبنان.

8ـ هاهوذا (عمير بيرتس) يخسر رئاسة حزب (العمل) يوم الأربعاء (2007/6/13م) ليحل (إيهود باراك) محله، ثم يحل محلّه أيضاً في وزارة الدفاع، على اعتبار أنه لم يكن مؤهلاً لرئاسة الحزب في الوقت الذي أخفق في حرب (تموز – 2006م) بوصفه وزيراً للدفاع.

9 ـ ويمكن أن نثبت تأثير هذه الحرب في نفوس بني إسرائيل كما عبرت عنه قصيدة (ميثاق النار) لحاييم نحمان بياليك من (سلسلة ألف كلمة وعشرة آلاف) تأليف (أهارون روزين ـ ص 38 ـ ترجمة فؤاد أبو زريق)، إذ كانوا يسترجعون في بدء حرب تموز على لبنان هذا المقطع من قصيدة (بياليك)[1]

[1] الأدب الصهيوني وتضليل الرأي العام 41 – 42.

obeikandl.com

على قمة نبو
أمام الشمس المقبلة
منظر رائع كوجه ملاك الحرب
يقف يهو شوّع بن نون يصيح
على رأس جيشه العظيم
صوته كالسهم يخرج مليئاً قوة، بأساً.
كلامه يتأجج كالشعلة، كالنار
والصحراء المخيفة، الصحراء الخاليه
تردد خلفه: "إسرائيل قم، رِثْ"(!!)

أما في نهاية تلك الحرب فقد أخذوا يرددون هذا المقطع من قصيدة (ميثاق النار) للشاعر نفسه:

"اهتاجت بحار اللهب طوال الليل، وامتدت ألسنة اللهب فوق جبل (موريا)، النجوم انبجست من السماء المشوية، هل داس الله كرسيه وفتت تاجه إلى شظايا، هل مزق الله الرداء الأرجواني وألقى مزقه للريح، وكان خوف الله على الجبال البعيدة إنه بجلاله هادئ ورهيب يجلس على كرسي من نار في قلب اللهب، لباسه ضرام أرجوان، ومسند قدميه جمر متأجج، أحاطت به النيران وهو هادئ ورهيب يجلس واضعاً ذراعيه على قلبه ... يوسع دائرة اللهب بنظرة عينيه ويؤجج الحريق بحركة جفنيه.

هللوا لله راكضين محترقين ـ هللوا لله رقص لهب ونار"[1].

وحين نتحدث عن الكيان الصهيوني بكل أبعاده فإننا لا نقلل من قدرته ومما يمتلكه من أسلحة متطورة كانت سبيله إلى قتلنا، ولا نقلل من حجم الدمار الذي لحق بلبنان أرضاً وشعباً ولكننا نقر في آن معاً بأن المقاومة الوطنية بقيادة حزب الله أسقطت هيبة الأسطورة الصهيونية، وأظهرت حقيقة

---

[1] المرجع السابق نفسه.

obeikandi.com

المشهد السياسي والعسكري من الداخل. فقد وقع خلاف حاد في حكومة أولمرت، وتصاعد هذا الخلاف بينه وبين وزير دفاعه (عمير بيرتس) ورئيس أركانه (دان حالوتس). وكل منهم يتهم غيره بأنه وراء هزيمة الجيش الصهيوني في لبنان على الرغم من صدور القرار الظالم لمجلس الأمن رقم (1701) الذي انتصر للصهيونية وابتز الدول الكبرى لحساب الدولة اللقيطة لتحقيق أغراض صهيونية أمريكية على حساب لبنان (الشعب والمقاومة والتراث الحضاري). وظل الخلاف محتدماً حتى سقط (حالوتس) وقدّم استقالته ثم سقط من بعدُ وزير الدفاع كما أشرنا سابقاً. ولا ننسى في هذا الشأن اتهام (نتن ياهو) رئيس حزب الليكود لأولمرت بأنه عاجز عن إدارة حكومة الكيان الصهيوني، وكان أداؤه ضعيفاً في الحرب الأخيرة ما يجعل حكومته تسير إلى الانهيار الحقيقي، ولا سيما أن هذه الحرب قد كلفت الكيان ما يزيد على ستة مليارات من الدولارات موزعة على العديد من القطاعات الاقتصادية، فقد أكدت الإحصائيات الصهيونية أن الخسائر اليومية للاقتصاد الصهيوني كانت تتراوح بين (90 مليون دولار) وبين (110 ملايين دولار)، فضلاً عن الخسائر في الصادرات الصهيونية عما كانت عليه في عام (2005م). وكما هي العادة فإن الإدارة الأمريكية والدوائر الغربية سارعت إلى إنقاذ الكيان الصهيوني من الانهيار، فقدمت أمريكا وحدها دعماً مباشراً لهذا الكيان مبلغ مليارى دولار زاعمة بأنه تعويض عن صموده في حربه ضد الإرهاب في لبنان. إن ما حدث على صعيد الكيان الصهيوني نتيجة البطولات الرائعة للمقاومة يُعد قضية حيوية تتعلق بكل جزئية من حياتنا الوطنية والقومية وتؤكد جدواها في واقع لا يعرف فيه العدو الأمريكي ـ الصهيوني إلا لغة القتل والدمار، واستئصال الآخر؛ كونه من الأغيار. وقد التقط أبناء الأمة العربية هذه الحقائق حين أدركوا التحولات الكبرى الناشئة عنها، فراحوا يعبرون عن طموحاتهم في السيادة والاستقلال والحرية والكرامة؛ وتيقنوا بأنه لا يجوز لهم أن يبقوا حُرّاساً للخوف والخيبات المتتالية، والسلبية القاتلة باجترار مشاهد المأساة والإحباط الذي يؤسسه إعلام العدو والفضائيات الدائرة في ركابه، وعليهم التخلص من أشكال التفكير البائس الذي يعقد أمله على

الحكام العرب.

ولهذا علينا أن نعدّ العدة لحرب قادمة وشرسة على الصعد كلها سياسية واقتصادية، نفسية وثقافية، علمية وتقنية، مدنية وعسكرية في الجو والبر والبحر؛ لأن الكيان الصهيوني ما قام إلا على القتل وشرب دماء الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ واغتصاب الأرض والعرض وتدمير الحجر والشجر مستغلاً ضعفنا وتمزقنا. وهو ما يزال يتوعدنا بذلك ولا سيما أن أي ضعيف مثل (إيهود أولمرت) سيحاول الهروب إلى الأمام، وسيقدم على شن حرب جديدة ليستر إخفاقه السابق الذي أكده تقرير لجنة (فينوغراد)؛ وفيه اتهم (أولمرت) بالتقصير والعجز... وهذا كله لا يعمينا عن النشأة التاريخية للنفسية اليهودية الهمجية العدوانية منذ القديم. فالكيان الصهيوني كيان همجي دموي وعنصري متغطرس لا يرى في الأغيار إلا عبيداً له، أما أن يكونوا نداً له فهذا من المحال في مفاهيمه التاريخية والمعاصرة. ففي سفر يشوع ما يفيدنا صراحة بتاريخ زعمائهم البشع والعنصري؛ إذ جاء فيه: "ولمّا فرغ بنو إسرائيل من قتل جميع سكان العيّ في الصحراء وفي البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعهم بحد السيف عن آخرهم، رجع جميع إسرائيل إلى العيّ وضربوها بحدّ السيف. وكان جملة من قتل في ذلك اليوم من رجل وامرأة اثني عشر ألفاً جميع أهل العيّ، ولم يردَّ يشوع يده التي مدّها بالحربة حتى أبسل جميع سكان العيّ... وأحرق يشوع العيَّ وجعلها تل ردمٍ إلى الأبد ضراباً إلى هذا اليوم"[1].

هذا ما أسسه يشوع لأتباعه الذين جاؤوا بعده؛ وما زال هذا المنهج مستمراً إلى أن جاءت العصابات اليهودية العنصرية المسلحة إلى فلسطين وزرعت فيها القتل والتهجير للجنس العربي، وهي التي أسست جيش الدفاع الصهيوني بعد نشوء الكيان الآثم (1948). ونشير إلى بعض العصابات العسكرية التي تسللت إلى فلسطين منذ وقت مبكر (هاشومير: الحارس 1909م، وفرقة البغالة الصهيونية 1915م، والفيلق اليهودي 1915- 1916م، والهاغاناه

[1] سفر يشوع ـ الإصحاح الثامن ـ آية 24 وما بعدها. راجع ما تقدم 29 ـ 31.

1921م، والبيتار 1923م، والإرغون 1931م، وشتيرن 1937م، والجدناع 1939 واللواء اليهودي 1939- 1945م، والبالماخ 1941م[1].

وهذا يعني لنا أن نرص الصفوف لخلق اللحمة الوطنية الفاعلة، وأن نجهد لإسقاط كل الاتفاقيات والمعاهدات التي كبلت الأنظمة العربية بالكيان الصهيوني، وأن نعمل على إغلاق السفارات العربية لدى هذا الكيان الغاصب والعنصري، والالتزام الحقيقي والفاعل باتفاقية الدفاع العربي المشترك وإزالة هشاشة الموقف العربي وتخاذله وعجزه على اعتبار أن المقاومة الوطنية اللبنانية الباسلة قد حسنت صورة العرب لدى الآخر، فصاروا أكثر احتراماً في نظره، وتأكد عنده أنهم كبقية البشر يملكون من الشجاعة والعقل والعلم ما يملكه الآخر.

وبناء على ما سبق يمكننا تلخيص جدوى المقاومة بما انتهت إليه الحرب الأخيرة:

أولاً ـ يجب أن تصبح ثقافة المقاومة أصلاً للعلاقة الصحيحة بين أبناء الوطن والأمة لأنها السبيل الوحيد والصحيح لمواجهة العدوان كيفما كان شكله ولونه. وقد كفلته الشرائع والقوانين والأخلاق؛ ابتداء بتبني مقاطعة البضائع الصهيونية والأمريكية وقطع النفط عن الكيان وانتهاء بتأسيس الوعي الثقافي والسياسي والروحي الكامل للأمة التي تعرف ما لها وما عليها، وتدرك أن دولة الكيان إنما هي دولة عنصرية إرهابية تقوم على إلغاء الآخر تستمد قوتها من قبل القوة الأمريكية والدوائر الغربية الاستعمارية، وبعض الدول الأخرى التي رأت أن مصالحها تكمن في الصمت عن جرائم هذه الدولة المارقة. وإذا كانت دولة الإرهاب الصهيوني قد استفادت من الوضع العربي المتردي فإن بإمكان العرب هزيمتها إذا عرفوا كيف يوفرون الأسباب لذلك.

ومن ثم علينا الالتزام بخيار المقاومة فكراً وممارسة وتبني الوسائل والسبل الكفيلة بنجاحها رسمياً وشعبياً؛ وأبرزها تشكيل جبهة شعبية وطنية

---

[1] انظر الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية ـ د.هيثم الكيلاني ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1991م ـ ص87.

وقومية مقاومة ومتسلحة بالوعي والعلم والتقنية والصبر والعقيدة والإرادة ومستندة إلى معرفة الآخر معرفة تامة، ودارسة لزوايا قوته وضعفه. هذا ما علمتنا إياه المقاومة الوطنية؛ علمتنا أن ننتصر على نفوسنا وضعفنا وخوفنا وجهلنا. وهذا ما ينبغي أن نفجره في ذاتنا ونحن نلجأ إلى خيار المقاومة والسلام.

ثانياً: دك آخر المقولات والتوصيفات والنعوت التي تصف جيش العدو الصهيوني بأنه القوة التي لا تقهر، فقد أثبتت المقاومة الوطنية اللبنانية في كثير من المعارك أنها كانت سيدة المعركة، وسيدة الصمود وسيدة الكرامة، كما أثبتت للعالم كله أن معركة الجنوب اللبناني واحدة من المعارك الكبرى التي تضاف إلى معارك المقاومين في فيتنام حين انتصر الفيتناميون على الأمريكان، وفي روسيا حين انتصر الروس على نابليون بونابرت، وفي فلسطين حين انتصر مقاومو الانتفاضة الفلسطينية على جيش العدو الصهيوني ولا تزال معركتهم الوطنية مستمرة.

ثالثاً: كشفت أحداث حرب تموز في لبنان أن المجتمع الدولي مجتمع عاجز، ومتردد، وضعيف، ومختزل لعدد محدود من الدول الكبرى التي تتحكم بمقاليد الشعوب وتطلعاتها، وهي دول محكومة بالمقولات والتوجهات الصهيونية. ويتبدى ذلك من خلال ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية من تجنيد لكل الهيئات والمنظمات الدولية، وخصوصاً مجلس الأمن الدولي، من أجل استصدار القرار (1701) الذي وضع من أجل إنقاذ الكيان الصهيوني من هزيمته العسكرية المحققة، الأمر الذي جعل قادة الكيان يتشدقون بانتصار سياسي بعدما أخفقوا في تحقيق أي انتصار على الأرض.

رابعاً: أوضحت نتائج حرب تموز أن الوضع الرسمي العربي يعاني من مشكلات بالغة الحدة والتعقيد، ولا سيما حين أذعن للترهيب والترغيب من قبل الإدارة الأمريكية، على حين أن بعض الأنظمة العربية أبدى عجزه وضعفه في معركة مصيرية تعني الأمة العربية جمعاء. فالنظام العربي الرسمي لم يكن بالحال المرضية إذ ظهر ـ غالباً ـ مفارقاً لآمال شعبه وطموحاته، ومتحالفاً مع السياسة الأمريكية.

خامساً: أوضحت حرب لبنان أن الأمة العربية أمة حية بعدما تفاعلت

وتضامنت مع المقاومة اللبنانية من المحيط إلى الخليج. وهو موقف يؤكد الفجوة الكبيرة المرعبة بين الأنظمة الرسمية العربية وشعبها. وهذا ما يتطلب مراجعة وطنية على كل المستويات والصعد لتعزيز الجبهات الشعبية الداخلية لمواجهة كل المشاريع العدوانية الصهيونية والأمريكية المراد فرضها على المنطقة، كما يتطلب مراجعة قومية لتعزيز الجبهات القومية وفق معاهدة الدفاع العربي المشترك ومقاطعة البضائع الصهيونية والأميركية، وقطع النفط عن الكيان الصهيوني وسحب ممثلي السفارات العربية من دولته المزعومة.

سادساً: أوضحت نتائج الحرب أيضاً أن أي رهان على القوة الخارجية، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية، هو رهان خاسر وباطل ذلك لأن الولايات المتحدة الأمريكية تعمل وفق مصالحها ووفق مصالح ربيبتها (إسرائيل). فهما تسعيان معاً لتشكيل فرق من العملاء الذين يعملون لصالحهما في المنطقة العربية وأنهما معاً غير معنيتين بأية توجهات وطنية أو قومية تخالف الأهداف الأمريكية والصهيونية.

سابعاً: أكدت الحرب الأخيرة أن الصراع مع الكيان الصهيوني هو صراع وجود لا صراع حدود، وأن التناحر ما بين المشروعين العربي والصهيوني إنما هو تناحر ما بين الحق والباطل، والمظلوم والظالم، والضحية والجلاد، والخير والشر.. وأن الكيان الصهيوني لا يفهم إلا لغة المقاومة.

ثامناً: أسقطت نتائج الحرب الأخيرة كل مقولات السلام، وخيارات السلام لأن الكيان الصهيوني لا يريد السلام ولا يملك أي مشروع لإقامته، ولا يسعى إليه ما دام يمتلك القوة الغاشمة التي توفرها له الولايات المتحدة الأمريكية، وأن السلام في عرف الصهاينة هو احتلال للأرض، ودوس لكرامات الشعوب، وسحق للإرادات، وتدمير للمقاومة الشعبية الوطنية.

تاسعاً: أسفرت المعركة الوطنية في جنوب لبنان عن العديد من المشاريع الاستعمارية العدوانية التي خططت الإدارة الأميركية لتنفيذها في المنطقة بوساطة أداتها العدوانية (إسرائيل) ومنها العمل على إقامة شرق أوسط جديد برعاية أمريكية وعزل سورية وتصفية دورها الوطني والقومي في المنطقة العربية، وضرب إيران وإضعافها للحدّ من دورها الإقليمي في المنطقة، وخنق

حركة المقاومة الوطنية، في فلسطين المحتلة وشل حركتها. وقد تجلى هذا في الفتنة القاتلة بين الأخوة الفلسطينيين، إذ نشب القتال بين منظمتي (حماس وفتح) كان آخره القتال المر الذي اشتد في غزة بين (10 –2007/6/16م) وأدى إلى سيطرة (حماس) على غزة، على حين سيطرت (فتح) على الضفة الغربية، وأخرجت (حماس) من مقراتها. هكذا تمزقت الدولة الفلسطينية قبل أن تولد، وتحول القتال المقدس إلى قتال مدنس ووسخ ترك أثره البشع في القضية الفلسطينية برمتها، وأوقع النفس العربية في إحباط لا يقل عن إحباط هزيمة حزيران، التي تمر ذكراها الأربعون، والقتال جار بين الأشقاء. لقد حققت أمريكا والدولة اللقيطة بأيدي أبناء القضية ما عجزت عنه في الواقع، فأحداث غزة كسرت نفسية الشعب الفلسطيني وهو الذي صَمَد أمام الآلة العسكرية الوحشية للكيان الصهيوني. وكذلك عملت الإدارة الأمريكية والصهاينة على تصفية المقاومة الوطنية في لبنان ولا سيما (حزب الله) وإلحاق لبنان بالمشروع الصهيوني بربطه باتفاق سياسي جديد شبيه باتفاق 17 أيار سيئ الذكر. ومن ثم ضغطت الإدارة الأمريكية الصهيونية على إصدار القرارات التي ساعدتها على تشويه المقاومة الوطنية اللبنانية بوصمها أنها مقاومة مذهبية شيعية، ثم وضعت (حزب الله) على قائمة الإرهاب، وراحت تثير الفتنة الداخلية في لبنان لإيجاد الأعداء الداخليين الذين يحرصون على نزع سلاح (حزب الله).. وما زالت سياسة الفتنة التي يقودها السفير الأمريكي في لبنان مستمرة من أجل الإيقاع بين اللبنانيين.

عاشراً: أكدت نتائج المعركة الوطنية في لبنان أهمية الوحدة الوطنية في لبنان أولاً و في الوطن العربي ثانياً، فقد كانت الوحدة الوطنية اللبنانية، والجبهة الشعبية العربية والإسلامية، وجبهة الأحرار في العالم السند الحقيقي للمقاومة الباسلة، الأمر الذي جيش لحضور شعبي وطني صادق في العديد من بلدان العالم في الشرق والغرب معاً، فقد كانت الشعوب هي المؤيد الأول للمقاومة الشريفة، وهي المقياس الحقيقي لشريعة المقاومة ووطنيتها.

حادي عشر: أكدت نتائج الحرب الأخيرة أن العدالة لا تحققها قرارات الأمم المتحدة التي تتحكم بصياغتها وإعدادها وإصدارها الإدارة الأمريكية

خدمة لربيبتها (إسرائيل) وأن ما يحقق العدالة هي الشعوب المطالبة بحقوقها المغتصبة، والمتمسكة بإرادتها الوطنية الرافضة لليأس والاستسلام والخضوع لمنطق القوة الأمريكي ـ الصهيوني في المنطقة. ويبدو أن هذا الاتجاه بدأ يظهر في العديد من دول العالم وبأشكال شتى في فنزويلا وكوريا وكوبا وإيران، بل في أوربا والصين وروسيا. فهناك إرهاصات تدل على التململ الكبير من الهيمنة الأمريكية على العالم، ولا سيما ما ظهر في مؤتمر الأمن المنعقد في (ميونيخ)، مطلع (شباط ـ 2007م). وفيه قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين: (الاستقطاب الأحادي الأمريكي غير مقبول، بل إنه صار مستحيلاً في عالم اليوم".

وبناء على ما تقدم كله نقول: علينا نحن الأدباء والكتاب والمثقفين أن نستلهم انتصار المقاومة في لبنان وفلسطين والعراق إرادة وصبراً، إيماناً وصدقاً، معرفة وخبرة لتشكيل حياتنا وإرادتنا الحرة وفق حراسة المروءة والدفاع عنها، وأن نخلق ثقافة إبداع متمسكة بإرادتها، ثقافة ترتقي إلى مستوى الحدث النوعي لبطولات المجاهدين الأحرار، والكشف عن المجازر الوحشية الجماعية لآلة البطش الصهيونية المدعومة بآلة القتل الفتاكة المصنوعة في أمريكا والمرسلة إلى قتل أطفالنا ونسائنا، ومحو هويتنا وثقافتنا إذ لا تتحقق الجدوى من أي مقاومة إن لم تُبْنَ على فكر واعٍ وخلاق، فكر نضالي وطني يلتزم بالإنسان الحر والكريم ويتفانى بالدفاع عن ثوابته الوطنية والقومية.

وإذا كان ختام هذا الفصل قد وضعنا في الآفاق المستقبلية لجدوى المقاومة فإن الفصل الخامس ينقلنا إلى آفاق ثقافة المقاومة وترسيخها في نفوس الناشئة مستفيدين من الآليات والوسائل الممكنة في التربية والثقافة والأدب والإعلام والفن...